فرزدق

الغرفة ٦٦

فريجولي، الغرفة 66: رواية
الكاتب: أحمد أبوزيد مرسي
تدقيق لغوي: عادل الجندي
غلاف: إسلام إبراهيم / أحمد أبوزيد
إخراج فنيّ: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 11587 / 2018
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 776 - 665 - 4

دار الزيات للنشر والتوزيع :Facebook Page
E_mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

رئيس مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات
المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

فرنجولي

الغرفة ٦٦

الكاتب

أحمد أبو زيد مرسي

دار الزيات للنشر والتوزيع
صدق حامد يتحقق

إهداء

إلى من رحلت أرواحهم بلا رجعة فخُلّدت إلى الأبد

"شهداء الحرية"

إلى أرواح من رحلوا وتركوني فرحلتُ معهم

" أمي و أبي"

إلى روح ذلك الوجه الأصيل والقلب البريء

"حسام"

إلى من لم أصبح عظيما رغم وجودها ورائي

حبيبتي إلى الأبد

"داليا"

* * *

الفَصْلُ الأَوَّل

الصحوة

يستيقظ خالد من النوم مذعورا على وجه الضابط هشام، فينكمش في سريره في وضع الجنين وقد وضع كلتا يديه على وجهه مختبئاً فيهما وقد احمرت عيناه وأدماهما الرعب من ذلك الوجه الفخاري الشرير الذي اعتاد خشونته منذ عدة شهور، بينما يحدثه الضابط هشام بلهجة تبدو غريبة، فيطلب منه بحب وحنان - على غير المعتاد - الاستيقاظ لتناول الإفطار، ولكنه يتعجب لذلك الخوف الذي يعتري خالد فيحدثه برقة.

- لا حول ولاقوة إلا بالله.. قوم يابني عشان نفطر سوا، مالك بس؟ إيه الرعب ده ع الصبح! أنـ...

يقاطعه خالد بصوت مرتعش رافضا حتى سماع صوته مشيرا إليه بكلتا يديه أن يبتعد:

- ابعد عني.. ابعد. أنت عايز مني إيه. ها؟ (ويكررها صارخا) عايز مني إيه؟!

يبتعد هشام عدة خطوات للخلف بعيدا عن سرير خالد مُشيرا بيديه إليه أن يهدأ.

- طيب طيب.. اهدا.. اهدا خالص، مفيش أي حاجة، أنا مش عايز حاجة، أنا بس بطمن عليك وعايزك تفطر بس صدقني.

يصمت هشام لثوانٍ، ويحاول رسم ابتسامة لخالد في سلام مومئاً بوجهه ألا تقلق، قائلا في هدوء لا علاقة له بنبرته الصاخبة المعهودة:

- والله بس فعلا. مش عايز حاجة .

وفي غلظة شديدة وبعنف أشد ممتزج ببقايا خوف ينظر خالد إليه مشيرا إلى باب الغرفة، ثم يستدير بوجهه إلى الحائط ومازالت يده تشير إلى الباب ويصرخ فيه بثقة يحبوها الرغبة في إنهاء الأمر وقد خرجت كلماته مُتقطعة تغلفها صيغة الأمر العسكري:

- اطلع.. برّه.. حالاً.. (يصرخ) برررره.

ينتفضُ هشام مذعورا وقد تراجع عدة خطوات أخرى للوراء وتبدو عليه علامات اليأس وقد نظر إلى الأرض بحزن شديد، وبهدوء جارفٍ قال مُستسلما:

- حاضر يابني.. حاضر. أنا خارج .

قالها وقد تحرك بالفعل إلى باب الغرفة بينما ما تزالُ يده تحاول تهدئة الأمر وقد امتلأت عيناه بلمعة حزن قاسية، ثم يرتطم بباب الغرفة، ثم يخرج منها في هدوء ويُغلق بابها من خلفه بهدوء، فيعود خالد بنظره إلي باب الغرفة فإذا بهشام قد غادرها، وأصحبت الغرفة خالية من ذلك المؤرق الذي يعتريه.. فيخرج من رحم الخوف، ويعتدل في جلسته فوق السرير، ثم

يضع بيديه بين قدميه، وبعينيه الحمراوتين يداعب أطراف الغرفة وتفاصيلها فيظهر وجهه جليا في ضوء الشمس الدافئة المتسلل من خلف النافذة ذلك الشاب بوجهه البشوش وملامحه الوسيمة التي تشعرك بأنك أمام أحد نجوم هوليود، بينما امتلأت تلك الملامح بآلاف السنين من الغربة والحزن، ومعاناته تبدو واضحة تماما، فشفاهه الجافة، وجبهته الفرعونية الحجرية، تُنبِئُ عن جثة إنسان مازال حيا، وذراعاه المنهكان بآثار التعذيب ومئات الجروح المتداخلة، وتلك الضمادات التي تغطي معظم رأسه ترسم لوحة مأساة تُضاهي لوحات الرسامين الذين حاولوا جاهدين رسم معاناة شعوب بلادهم فلم يصلوا إلى تلك المرحلة من التعبير الواقعي الصارخ.. بينما يرتدي سروالا من "الجينز" الممزق في كافة أركانه وجوانبه.. و "تي شيرت" كاحل السواد وقد اتسعت ياقته وترهلت وتمزق من عدة أنحاء فيه .

مازالت عيناه تراقبان تلك الغرفة، وفي تركيز شديد تعودان بين آونة وأخرى إلى ذلك الباب الذي خرج منه هشام لتوه وكأنه يخشى دخوله مرة أخرى ظنا منه بأن نظراته إلى ذلك الباب كثيرا قد تمنع هشام من الدخول ثانية، وقد بدأ ينتبه خالد إلى أنها غرفته التي قضى فيها معظم فترات حياته في منزل أسرته الصغيرة، نعم إنها غرفته.. وهذا هو مكتبه الصغير الذي طالما جلس إليه لسنوات طويلة في فترات الدراسة الجامعية القريبة، وهذه هي خزانته التي تحوي ملابسه وجميع متعلقاته والتي كان دائما ما يخفي فيها علبة سجائره عن أبيه الذي لا يعلم أنه مدخن عتيد.

وهناك إلى يسار الغرفة يستلقي "جيتاره" الذي يعشقه، فهو عاشق للموسيقى و أحد أفراد فرقة "احلم" الموسيقية والتي كانت تقدم أغان يعشقها المتابعون القليلون للفرقة على مواقع التواصل وشبكة "الإنترنت "، إنه أحد عازفي الفرقة و مطربها، فلديه صوت رقيق دافئ قد تربَّى وتغذى على أصوات العظماء، وهنا ينتبه خالد إلى ما حدث منذ قليل، وما الذي جاء بالضابط هشام إلى منزله، وكيف أتى هو نفسه إلى منزله، وما الذي يحدث!

بدأ يُتمتم بكلمات بينما تعبث به ذاكرته فتأخذه إلى كل الأماكن في آن واحد فيرى نفسه وهو مُستلقٍ على الأرض في إحدى الغرف المظلمة وقد غرق في دمائه بينما تجري الفئرانُ من حوله وهو ويحاول يائسا إبعادها عنه دون جدوى، ثم يرى جمهور "ساقية الصاوي" يُصفق له بعد أن أنهى اغنيته الأخيرة "صوت الحق" وهو مُنحَنٍ تحية للجمهور.

ثم تأخذه رأسه إلى ذلك الزحام الشديد في محطة "المترو" بينما جلس إلى جانب "إيمان" يتحدثان عن أحلامهما وسط صخبٍ شديد يُحيط بهما، ثم يعودُ فيرى "حمزة" وهو يطلبُ منه مبلغاً من المال ليستطيع شراء الدواء لوالده المريض، وهنا يُفتح باب الغرفة في هدوء شديد فتعود عينه بسرعةٍ خاطفةٍ إلى الباب الذي يكشف عن وجه هشام من جديد مُبتسما في حذر وقد أطل برأسه فقط فبدى أشبه بالدمية التي يحركها أحدهم بخيوطه كي لا يثير خالد بدخوله المفاجئ.

- ها يا خلود.. هنفطر ولا إيه؟!

ينظر إليه خالد في تعجب شديد، وتعود إليه حالة الخوف السابقة فيرتعش بشدة محدثا هشام في قلق:

- نفط.. نفطر إزاي يعني؟ هو أنت.. هو

يُقاطعه هشام في ثقة وقد دخل بكامل جسده إلى الغرفة ومازال يقف بجوار الباب في حذر محاولا اقتحام خالد في هدوءٍ آملا في تغيير موقفه تجاهه

- أيوا نفطر إيه؟ قلتلي نفطر إيه! بص يا سيدي..

يقترب هشام من سرير خالد أكثر في خطوات مازالت حَذِرةٌ، ثم يجلس إلى مكتب خالد في حميمية شديدة:

- هنفطر يا سيدي فول وطعمية وبيض بقى م اللي قلبك يحبه، بيض عيون، م أنت دايما بتزعل لما بعملهولك ملخبط على بعضه، وفي شوية زيتون بقى من عمك عبد الله يستاهلو بوقك .

يعتدل خالد في جلسته وقد بدت عليه علامات التعجب والاندهاش لذلك الضابط القاسي والذي اعتاد عنفه وقسوته، كيف له أن يتحوّل إلى ذلك الشخص الطيب البسيط ويدعوه إلى الإفطار بهذا الحب! وكيف يجلس معه الآن في منزله! نعم إنه منزل خالد وأسرته، كيف يحدث كل هذا !

يُصاب خالد بحالة من الارتباك الشديد، وتدور بخاطره عدة أفكار قاتلة تدعوه إلى الفتك بذلك الضابط. لقد أدرك خالد أن هشام قد تخلص من

عائلته، وها هو الآن يجلس معه في منزله وقد أنهى أمر تلك الأسرة ولم يكتفِ بما فعله في خالد.

أفكارٌ لا منطق فيها تنتاب خالد ولا يستطيع إدراكها فيشتعل غضبه، ويجن جنونه، فيقفز من فوق سريره في اتجاه هشام وينقضُّ عليه في غضب ورغبة كبيرة في التخلص منه صارخا في وجهه وقد أحكم قبضته على رقبته محاولا إيقاف أنفاسه:

- أنت إيه.. مش بني آدم؟ حرام عليك.. حرام عليك. دمرتني ودمرت حياتي. هقتلك.. هقتلك.

يُحاول هشام التخلص من قبضة خالد صارخا ومُستغيثا بأي أحد:

- ارحمني هموت فـ إيديك حرام عليك اللي بتعمله فيّا ده. ألحقوني هموت، هيموتني.

ثم ينجح هشام في التخلص من قبضة خالد ويدفعه بقوة إلى السرير وبهم بالخروج من الغرفة، وبينما يفتح باب الغرفة يجد هناك من يحاول الدخول إلى الغرفة لإنقاذه إلا أنه يمنعهم جميعا ويخرج من الباب، في حين يتجه خالد بسرعة إلى باب الغرفة محاولا الإمساك به إلا أن هشام كان أسرع من خالد، فيخرج ويغلق باب الغرفة من خلفه، ثم يقومُ بغلقه بمفتاح قد وضعه فيه من الخارج كي لا يستطيع خالد اللحاق به، وهنا يركل خالد الباب بقوة، ثم يُحاول الفتك بالباب أملا في الخروج من الغرفة ولكن دون جدوى، بينما يستمع إلى صوت مألوف لأحدهم من الخارج يحدثه بحزن شديد:

- ليه كده يا بني.. ليه بس، إيه اللي جرالك. عفوك ورضاك يا رب، عفوك ورضاك يا رب.

وهنا يندهشُ خالد لذلك الصوت، إنه صوت أمه، فيبتسم خالد بينما تمتلئُ عينه بالدموع وتنفرجُ أساريره .

- ماما.. أنا خالد يا ماما، افتحي يا ماما، افتحي يا ماما، أنا بحلم. صح؟ أنا بحلم؟!

تُجيبه ليلى من خارج الغرفة بصوت يملؤه البكاء والحسرة:

- اهدا يا خالد وصلِّ ع النبي.. اهدى يا قلب أمك. (تجهش بالبكاء.(

فيجيب خالد بحب واشتياق وقد جلس على ركبتيه مثقلا بالبكاء بعد أن أرهقته محاولاته لفتح باب الغرفة:

- افتحي الباب، افتحي الباب يا ماما، أنتي بخير؟ كلكوا بخير ؟ طمنيني! أبوس إيدك ردي عليا، هو الراجل ده بيعمل إيه هنا؟ وقافلين عليا ليه؟

ينهار خالد ويسقط أرضا وقد أصابهُ اليأس من أن يُفتح له ذلك الباب، وامتلأت رأسه بعلامات استفهام لا حصر لها، بينما ما تزال تأتيه أصوات من خارج الغرفة يحاول استيعابها.

- اهدا يا بني، اهدا، احنا كلنا بخير طول ما أنت بخير.

وهنا ينهضُ خالد من مكانه في حماس شديد متجها إلى الباب من جديد مُحدِّثاً ذلك الصوت:

- أبويا، افتح يا أبويا، أنا هتجنن يا أبويا ومش فاهم حاجة، أبوس رجليكوا افتحولي، افتحوا البااااااااب.

وهنا يُصاب خالد بحالة هيستيرية أشبه بالحالات التي تُصيب مدمني "الهيروين" عندما يحاولون التوقف عن تعاطيه أو يحرمون منه، فيسقط أرضا، ويرتعش بشدة، وتتصلب جميع أعضائه، وتزداد حالة الارتعاش بشكل مخيف فيتصبب عرقا، ويركل كل شيء بقدميه، حتى ينتهي الأمر بفقدانه للوعي، فينفتح باب الغرفة بقوة وتدخل ليلى ومعها سعيد وقد أنهكهما البكاء والخوف على ولديهما، فيرفعانه من الأرض إلى السرير، ثم تقوم ليلى بتغطيته ومواراة جسده المرتعش، بينما يقوم سعيد بتجفيف عرقه، ثم تستقر يمناه على جبهته فيبدأ في قراءة بعض آيات القرآن الكريم بينما تذهب ليلى لإحضار الإفطار لخالد في غرفته علّه يأكل شيئا منه عندما يستفيق.

تدخل ليلى بصينية كبيرة وقد وضعت عليها عدة صحون من الفول والطعمية والبيض العيون وكوبا من الحليب الناصع البياض بينما ينظر إليها سعيد مشيرا إلى مكتب خالد كي تضع عليه ما تحمل، ثم يُشير إليها بالهدوء التام وعدم الكلام، فقد هدأ خالد تماما واستغرق في نوم عميق، وانخفضت خفقات قلبه، فيرفع سعيد يده عن جبهته في هدوء ثم يشير إلى ليلى كي تخرج من الغرفة وهو بجانبها حتى يخرجا من الغرفة في هدوء تام، ثم يُغلق سعيد باب الغرفة.

* * *

ينظرُ حمزة إلى هاتفه المحمول في صمت وقد رأى رقما غير محفوظ لديه، فيرفع هاتفه إلى أذنه وقد وافق على استقبال المكالمة، وفي قلقٍ يتحدث حيث يأتيه صوت إيمان على الجانب الآخر من المكالمة :

- آلو .

- حمزة. ازيك، أنا إيمان، إيه الأخبار طمني.

- (يتنهد بارتياح) إيمان، ازيك، إيه الرقم ده؟

- (تتلفت حولها يمينا ويسارا وتتحدث بشيء من الحِنْكة) معلش أنت عارف إن كل حاجة متراقبة، ها، طمني خالد عامل إيه؟

- (يومئ برأسه متفهما). آه، صحيح، تمام. طيب واحنا هنفضل في الرعب ده على طول، أنا مش عارف أنام من القلق.

- (بإلحاح شديد ونبرة غضب). يابني لازم نعمل كده لحد ما نشوف إيه اللي هيحصل. طمني على خالد بقى أبوس إيدك.

- (بتوتر شديد) اهدى بس خالد كويس، هو في البيت لسه، الكلام ده لحد امبارح بالليل، بس مش عارف عامل إيه دلوقتي. هحاول أكلمه وأطمنك. (يتنهد بانكسار) وربنا يستر.

- (في توتر وقلق). أوكيه أوكيه. سلام دلوقتي، هبقى أكلمك تاني.

تُنهي إيمان المكالمة سريعا بينما يستمع حمزة إلى صوت الشبكة المعتاد عند انتهاء المكالمة ومازال قلقا جدا، ويزداد قلقه بسبب تلك الطريقة التي

أنهت بها إيمان المكالمة، ويُحاول جاهدا التأكد من أنها لم تُغلق المكالمة فيتحدث بشغف عبر الهاتف:

- إيمان. استني بس، إيمان، إيمان، آلو. آلووو.

ينظر حمزة إلى هاتفه في حزن ويُطيح بيده في الهواء يائسا ومحدثا نفسه:

- وبعدين بقى، آخرتها إيه بس، (وتخطر بباله فكرة)، أيوه، أكلم عم سعيد.

ينظر حمزة إلى هاتفه من جديد، ثم يضغط على زر الاتصال بعد أن استخرج رقم سعيد منتظرا رده بينما يستمع إلى صوت الشبكة المعتاد عند الاتصال، في حين يصل إليه عامل المقهى وبين يديه يحمل كوبا من الشاي وآخر من الماء ليضعهم على المنضدة، حيث يجلس حمزة ذلك الشاب العشريني في إحدى مقاهي الحي وتبدو عليه علامات القلق الدائمة والتي أصبحت إحدى سماته الشخصية منذ فترة ليست بالقصيرة، وهو شاب ليس بالقصير ولا بالطويل، أسمر البشرة، حاد الملامح، ولحيته القصيرة التي نبتت منذ أيام ولم يعد يحلقها مثل ذي قبل تحمل بعض الشيب رغم صغر سنه، وهو أحد أهم أصدقاء خالد إن لم يكن الأهم على الإطلاق، فبينهم صداقة طويلة تمتد لعدة سنوات منذ كانا زميلين في المدرسة الابتدائية، حيث كان التعارف بينهما في مباراة لكرة القدم في أحد الشوارع الخلفية للمدرسة، إذ كانا من أولئك الذين يعشقون كرة القدم، ودائما ما يقضون ساعات وساعات في ممارستها، وكثيرا ما قضيا الليالي في عقاب صارم من أبويهما لتأخرهما عن منزليهما بعد انتهاء يومهما الدراسي،

إنه صديقه المقرب والذي كثيرا ما استدان منه نقودا، لاسيما أن خالد أفضل منه حالا، فأسرته أسرة بسيطة جدا، فوالده يعمل في أحد مصانع الأحذية كعامل بسيط ولديه ثلاث أخوات صغيرات وأم مكافحة لا تنام الليل من أجل تلك الأسرة الفقيرة، فتقضي معظم نهارها في أعمال المنزل بينما تقضي كامل ليلها في تفصيل الملابس والفساتين لعملائها من أهل الحي وغيره كي تحصل على بعض الجنيهات التي تدعم بهما دخل الأب المحدود جدا، وما زالا يحلمان بإلحاق بناتهما بالدراسة الجامعية التي ستجعل منهن فتيات قادرات على بناء أنفسهن ومساعدة الأسرة مستقبلا في متطلبات الحياة التي لا تنتهي، بالإضافة إلى ادخار تكاليف زواجهن الذي يقترب شيئا فشيئا، فالسنوات تمر سريعا، ولا توجد أية حلول لهذا الأمر سوى تعاون جميع أفراد الأسرة في ذلك، ومازال حمزة يبحث عن فرصة عمل جيدة بعد أن تخرج في كلية التجارة وعمل كمندوب للمبيعات في إحدى شركات المنظفات الصناعية، إلا أن دخله لا يكاد يكفي مصاريف يومه، فلا غنى له عن مساعدات صديقه الذي دائما ما يبادر بمساعدته دون طلب، فصديقه خالد لديه مشروع صغير قد أقامه بعد أن ساعده والده في إنشاء مركز لخدمات الحاسب الآلي والذي يخدم الطلاب أيضا، وقد نجح مشروعه نجاحا كبيرا وأصبح يدر عليه دخلا يجعله قادرا على التفكير في التوسع وافتتاح فروع أخرى لمشروعه، وهو قادر ولا شك على مساعدة حمزة في كثير من ظروفه السيئة، وقد جمعتهما أحلام وطموحات عدة تماما كما جمعتهما أسرة "حورس" في جامعة القاهرة كأعضاء مميزين ولهم العديد والعديد من الممارسات والأنشطة والكثير أيضا من التظاهرات الوطنية،

والمطالبات في عدة مواقف وظروف مرت بها البلاد، وتطورت بهما ميولهما السياسية حتى التحقا بحركة "كفاية" والتي كانت أول من نادى بالتغيير ودعت مرات ومرات للوقفات الاحتجاجية التي تنادي بإنهاء الظلم وتحقيق العدالة الاجتماعية، حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم والذي خرجت فيه جموع الحركات الاحتجاجية في الشوارع تنادي بالتغيير، وبدا الأمر أشبه بثورة صغيرة لم يتوانى نظام البلاد في التصدي لها خوفا من نتائجها، فكانت الاعتقالات والإصابات وبعض الضحايا، ثم أُعلن في وسائل الإعلام عن إيقاف مجموعة من المخربين وأعداء الوطن، والتي انتهت ليلتها باعتقال خالد، بينما حاول حمزة إنقاذه أو البقاء معه إلا أن خالد طلب منه الابتعاد وأخبره بأن وجود أحدهما خارج أسوار المعتقلات أمر ضروري قد يساعد ذلك الذي تم اعتقاله، فكان لاعتقال خالد وقع أليم على حمزة، حيث استمر اعتقال خالد سنة كاملة لم يستطع حمزة خلالها الوصول إلى أية معلومات عنه، حتى كان يوم الجمعة الماضي والذي فوجئ فيه والِدَي خالد باتصال هاتفي يدعوهم لاستلام ابنهم خالد من إحدى المشفيات بعد أن تم الإفراج عنه لأسباب صحية، وبالفعل تم استلامه في حالة إعياء تام، وتم نقله إلى منزله بينما ما يزال تحت المراقبة الأمنية كما علم حمزة من سعيد، وأنه مهدد بالاعتقال من جديد في حال تواجده أو اشتراكه في أي من تلك الاحتجاجات أو التظاهرات.

انتظر حمزة كثيرا على الهاتف دون جدوى حتى انتهت محاولته للاتصال بسعيد دون رد، وضع حمزة هاتفه المحمول على المنضدة متأففاً،

ثم تناول كوب الشاي الساخن وأخذ يشرب منه في قلق وقد أمسك به بكلتا يديه ثم وضعه إلى المنضدة من جديد وأخرج علبة سجائره وأشعل سيجارته في توتر وأخذ يدخن ويشرب بينما بصره مصوب نحو هاتفه في انتظار اتصال جديد من إيمان، أو ربما اتصال من سعيد، فلعله نائم وسوف يتصل حين يرى اتصاله.

* * *

في مكتب فخم وكبير مملوء بالتحف واللوحات السريالية وبعض التماثيل الفرعونية والكثير من شهادات التفوق المعلقة على جدران الغرفة يدخل هشام في صخب كبير ويرافقه ثلاثة من رجاله يتبادلون جميعا أطراف الحوار حول إحدى التنظيمات الجديدة التي أثارت الكثير من البلبلة في الآونة الأخيرة فكان بينهم حوار سريع الإيقاع استهلَّهُ ماهر وتابعه إيهاب:

- يا أفندم المعلومات اللي عندنا بتأكد وجودهم في عدة خلايا في أربع أماكن على مستوى الجمهورية.

- ده صحيح يا أفندم.. في خلية في الإسماعيلية وخليتين في الصعيد.. والخلية الأم في سينا.

- (يهز ماهر رأسه بالموافقة مستطردا) بالظبط.. والتعليمات بتوصل للخلايا الأربعة من بره البلد، وفي دولتين تحت النظر يا أفندم، غالبا واحدة فيهم هي اللي بتدير التنظيم.

- (يضرب هشام بيديه على مكتبه بعد أن اعتدل في جلسته موبخا ماهر) أنا مش عايز أسمع كلمة غالبا يا حضرة الظابط المحترم، احنا مش بنحل كلمات متقاطعة هنا، عايز معلومات مؤكدة وموثقة بالمستندات. (بحسم شديد) مفهوم؟ اتفضلوا.

- (يضرب ماهر التحية العسكرية معتدلا) تمام يا أفندم، 24 ساعة وهتكون تحت إيدينا كل المستندات اللي بتأكد معوماتنا.

يؤدي الثلاثة التحية العسكرية وينصرفون في نظام وبالترتيب، بينما يُمسك هشام بسماعة هاتفه على المكتب ويطلب رقما قصيرا لا يتعدى الثلاثة أرقام. ينتظر للحظات ثم يتحدث بخشونته المعهودة:

- هاتلي ملف الواد بتاع "كفاية"

ينهي هشام مكالمته سريعا ثم يخرج سيجارة من علبته الملونة ويشعلها وينفث دخانها في سماء مكتبه وفي عينيه نظرة شر وغضب بينما يُطَقْطِقُ بأصابعه على سطح مكتبه حتى يطرق أحدهم باب الغرفة طرقتين فقط، ثم يدخل شاب مهندم يرتدي ملابس رسمية في غاية الأناقة وبين يديه ملف أحمر اللون ويتقدم في اتجاه هشام بخطوات واثقة حتى يصل إلي يمينه فيضع الملف على المكتب ويقف في اعتدال:

- حمدالله ع السلامه يا أفندم، إن شاء الله تكون زيارة موفقة.

- (بعجرفةٍ ضاربا بكلمات أشرف عرض الحائط) حد سأل عليا؟

- مكتب سيادة الوزير يا أفندم، وبلغتهم إن حضرتك في مأمورية وراجع بعد الظهر، سكرتير سيادة الوزير بيقول إن معاليه بيسأل عن تقرير الجماعة بتوع سينا سعادتك.

- اطلبلي مكتب معاليه بعد عشر دقايق وحولهولي، وابعتلي الرائد جمال الخولي

- (ينسحب أشرف بخطوات ثابتة يمشيها إلى الخلف بينما يومِئُ برأسه) تمام سعادتك.

يخرج أشرف ويغلق الباب من خلفه بينما يتناول هشام سماعة الهاتف بيمينه ويطلب رقما قصيرا أيضا ويتحدث بحسم شديد :

- حَضَّرْ قوة وخد معاك "عمر" وهاتولي العيال اللي عاملين قلق عند نقابة المحامين.. بس مش كلهم، عايز خمسه ستة كده اللي هما نافشين ريشهم دول وكل واحد فيهم عاملي فيها زعيم .

ينتظر قليلا على الهاتف ثم يستطرد:

- مممم.. تمام. هما دول، بس عايز الموضوع يخلص بسرعة .

يضع هشام سماعة الهاتف وينفث دخان سيجارته ثم يطفئها بلهفة ويمسك بالملف الأحمر ويفتحه متمتماً:

- أيوا.. تعالالي بقى يا حيلتها .

يطرق أحدهم الباب ثم يدخل جمال ويغلق الباب من خلفه متوجها إلى الكرسي في يمين مكتب هشام، ثم يقف معتدلا ضاربا التحية العسكرية لهشام في قوة وخشونة:

- تمام يا أفندم.

- (هشام وقد استقر بصره على إحدى الأوراق في الملف الأحمر مشيرا بيده إلى جمال بالجلوس) اقعد يا جمال.

يجلس جمال على الكرسي في اعتدال واحترام شديدين بينما ما يزال هشام يُدقق النظر في تلك الورقة أمامه وقد انهمك فيها كثيرا، بينما جلس جمال يتابعه في قلق محاولا كسر ذلك الصمت:

- خير يا أفندم.

- (يحدثه هشام وما زالت عينه مركزة على الملف الأحمر) الشيخ عبادي أخباره إيه؟

- (جمال متعجبا وقد بدت عليه نظرات التساؤل) تحت عينينا يا أفندم و...

- (يقاطعه هشام بحسم وقد ارتفعت نبرته قليلا) أنا مش بطمن عليه (يعود لهدوئِه) نشاطه إيه دلوقتي؟

- (ينتفض جمال في صمت) مفيش يا أفندم غير شوية الدروس في الجامع، وزيارات للجبل، وكان بيجوز بنته من أسبوع، و...

- (يقاطعه من جديد) طيب طيب، عايزك تتصل بيه (ثم يرفع عينيه عن الملف الأحمر ويغلقه في هدوء، ويدقق النظر في عين جمال بتركيز) محتاجين نجيب العيال بتوع عملية الكمين بتاعت الأسبوع اللي فات، (ويشدد على حروفه ويثقله ويقطّعها)، وهوّ اللّي هيجيبهم (ثم يلتقط علبة سجائره ويشعل سيجارة مستطردا) وابقى شوفو محتاج إيه.

- (في قلق شديد يحاول جمال شرح شيء ما) بس يا أفندم حضرتك كنت..

- (يقاطعه هشام للمرة الثالثة بحزم وقد احتَّدت كلماته) عارف يا جمال، بس مضطرين.

- (محاولا فتح باب النقاش في هدوء) يا أفندم المخاطرة مش هينة، وحضرتك عارف إنـ...

- (لم يعد مستعدا لسماع أي ملاحظات أخرى وقد اتخذ القرار ولا رجعة فيه). نفذ يا سيادة الرائد.

يقف جمال معتدلا ضاربا التحية العسكرية بقوة وقد استسلم للأمر الواقع.

- تمام يا أفندم.

يتجه جمال إلى باب الغرفة بينما ينفث هشام دخان سيجارته ويتابع بعينيه جمال أثناء خروجه من الغرفة، ثم يحدثه بشكل مفاجئ فيستوقفه عند الباب بكلماته:

- مش محتاج أقولك إن المهمة دي لازم تخلص في أسرع وقت.. تمام يا سيادة الرائد؟

يقف جمال عند باب الغرفة وقد أصابته كلمات هشام في رأسه، بينما يومئ بالموافقة اليائسة المتسائلة عن كيفية حدوث ذلك في أسرع وقت !!

- تمام يا أفندم.

يبتسم إليه هشام في ثقة صارخة ويهز رأسه بثبات فيما يعني أنك مضطر لذلك يا جمال رغم أنفك، فيخرج جمال من الغرفة ويغلق بابها، بينما يرنّ الهاتف إلى يسار هشام فيرفع سماعته إلى أذنه متحدثا باهتمام:

- أيوه، أوك، حوّل الخط، (ينتظر لثوان قليلة ثم يعود فيتحدث) أيوه، هشام سالم معاك، بلغ معاليه إن التقرير هيكون على مكتبه خلال يومين لأن الإجراءات والأحداث الأخيرة غيرت مسار التقرير بشكل كبير واحنا مش عايزين نجمع ورق وخلاص، احنا بنقول الحقيقة في تقاريرنا عشان نحط القيادة السياسية على أرض الواقع. (ينتظر قليلا مستمعا إلى الطرف الثاني في اهتمام) طبعا.. طبعا ... ده شغلنا.. أكيد ...تحياتي لمعالي الوزير .

ينهي هشام المكالمة ثم يعود فيدخن سيجارته وينفث دخانها مبتسما بينما تقع عينه على الملف الأحمر فتتعرق جبهته، وتحمر عيناه مشمئزا وقد وضع يده على الملف الأحمر.

- الولد ده خطر ولازم نشوفله صرفه.

* * *

أعلى كوبري قصر النيل تقف إيمان سارحة في مجرى النيل ومياهه التي تجري بينما تمر الزوارق والحافلات البحرية يمينا ويسارا ، وقد لمعت عيناها واحتبست فيها الدموع المختبئة خلف نظارتها الرقيقة بينما تمسك بيديها منديلا تحاول به تجفيف الدموع في منبعها قبل أن تهرب إلى خديها الناعمين وقد استقر نظرها على أحد الزوارق المتهالكة، وترى على متنه رجلا وسيدة قد أنهكهما العمل طوال الصباح في اصطياد الأسماك، وقد امتلأ زورقيهما بكميات ليست بالقليلة من أنواع الأسماك النهرية، وقد جلس الرجل العجوز إلى طرف الزورق يشرب كوبا يبدو أنه من الشاي "الصعيدي" بينما وقفت زوجته كما يبدو تعيد ترتيب الأسماك في وسط الزورق وتمر بينهما ضحكات تستقبلها إيمان وقد أدركت أنهما قد نسجا حديثا لطيفا، ربما عن موقف ما أو حدث قد حدث بينهما، ثم تنتقل بعينيها إلى تلك المباني الشاهقة على أطراف النهر، ويدور في عقلها ذلك الفارق الكبير بين من يسعى لكسرة خبز في أعماق النهر ومن يسعى لملايين الدولارات فسادا وظلما، وكأنها تتهم المباني الشاهقة بما حل بذلك الزورق ومن فيه من معاناة، في حين يبتسم أصحاب المعاناة بصدق، وتمتلئ قلوبهم بالصبر والرضا بما قسمه الله لهم، ثم يقفز إلى ذاكرتها ذلك اليوم الذي كانت فيه هنا في نفس المكان بجوار خالد عندما مر بهما زورق صيد مشابه ودار بينهما ذلك الحوار الباسم البائس .

(قبل ثلاث سنوات على كوبري قصر النيل يقف خالد وإيمان متأملين في روعه النهر وسحره الذي لا يهتم لما يدور من حوله).

- (مشيرا إلى الزورق في وسط النهر) شايفه المركب ده يا إيمان؟!

- ياه.. هو لسه في ناس بتصطاد في النيل؟! (وتدقق النظر في الزورق) دا راجل عجوز أوي! شايف؟!

- بالظبط، راجل عجوز بيجري على لقمة العيش، وجنبه مراته بتساعده، أهو أنا نفسي بقى في الحياة دي، بسيطة وسهلة ومتعبة وفيها كل المشاعر، بس بتهون عشان الرضا، فاهماني يا إيمان؟ الرضا.

- (تبتسم ابتسامة حب وبعينيها تراقب نظرات خالد للزورق، ثم تفاجئه بيديها على كتفه قائلة بنبرة مرحة) ياسلام.. يعني عايزني اصطاد سمك يا خالد بيه؟ قصدي يا سي خالد؟ (قالتها وقد أكدت وشددت على حرف السين بحب شديد).

- (يبتسم في حزن) كان ممكن يبقى الراجل ده أبويا وتبقى دي حياتي أصلا، إيه؟ مكنتيش هتحبيني يعني عشان ابن صياد غلبان؟

- (تغلق فمها برقة وتضع يديها على خده ناظرة للسماء) مممم، أفكّر.

- (ثم تضحك بخفة) بحبك يا مجنون حتى لو كنت ابن بواب (ثم تتدارك جملتها ضاحكة) قصدي يعني ياريتك كنت ابن بواب، كان زمانا أغنيا أوي.

- (يضحك من قلبه) يخرب عقلك، بس تصدقي عندك حق.

- (تنظر إلى خالد في حب شديد وتعانق ذراعيه بيديها) يااااه يا خالد، بقالي كتير مشوفتكش بتضحك كده.

- (يحتضن يديها بيديه بقوة) طب يلا يا غلباوية اتأخرنا.

تعلو الضحكات وقد تشابكت أيديهما ومازال ذلك الحوار الباسم بينهما مستمرا وهما يغادران الكوبري، وهنا تفيق إيمان على هاتفها المحمول وقد ظهر في شاشته رقم حمزة فتسرع في الرد عليه متلهفة أملا في الحصول على أية معلومات جديدة تخص خالد:

- حمزة.. إيه الأخبار؟

- أيوه يا إيمان، محدش بيرد، جرس على طول ومحدش بيرد. أنا قلقان أوي

- (محاولةً طمأنة حمزة) ربنا يستر، اهدا أنت بس وحاول تاني، وكلمني لو في جديد.

- (حمزة بقلق شديد) أوكيه. ربنا يستر.

* * *

على سجادة الصلاة في صالة المنزل يسجد سعيد سجدة صلاة العصر الأخيرة ثم يعتدل في جلسة التشهد محركا سبابته اليمنى، ثم يسلم يمينا ويسارا وقد امتلأت عينه بالدموع دون أن يسمح لها بالخروج، ثم يرفع يديه إلى السماء داعيا الله بخشوع صادق:

- يارب أنت عالم بحالنا، يارب فك كربه يارب، يارب متورينيش فيه حاجة وحشة يارب، يارب اشفيه يارب، أنت قادر على كل شيء، يارب يا كريم لطفك وكرمك يارب، لطفك وكرمك يارب.

تدخل ليلى إلى الصالة قادمة من المطبخ وبين يديها كوب من الشاي، وتنظر إلى سعيد الذي مازال يردد دعاء إلى الله فتردد هي الأخرى خلف دعائه وهي تضع كوب الشاي على المنضدة الصغيرة:

- آمين يارب العالمين، يارب اقبل دعانا يارب وافرجها من عندك، أنت أحن عليه مننا يارب. (ثم تنظر إلى سعيد وهو يقوم من صلاته) حرماً يا أبو خالد، ربنا يتقبل منك يارب.

- جمعا يا أم خالد، أنا وانتي يا رب.

يجلس سعيد على كرسيه المفضل في صالة المنزل بجوار تلك المنضدة ويتناول كوب الشاي فيرشف منه رشفته الأولى وقد أمسك بيديه هاتفه المحمول، ويلاحظ أن ثمة اتصالات قد أتته دون أن ينتبه، فيسردها واحدا تلو الآخر، فإذا به يجد اتصالا من حمزة، وآخر من رقم غريب، فيحاول تذكر ذلك الرقم دون جدوى، ثم يقرر الاتصال بحمزة فهو يعلم أنه يحاول

الاتصال من أجل الاطمئنان على خالد، ثم يتراجع عن ذلك فجأة فهو يعلم جيدا أن هاتفه وهاتف حمزة مراقبين، وهو يخشى ذلك كثيرا، فهو لا يعلم ماذا تخبئ له مراقبة الهاتف من مشاكل قد تضر بخالد، فيقرر عدم الاتصال بحمزة، في حين تتابعه ليلى طوال تلك اللحظات وتراقبه بهدوء، ثم تسأله بعد أن بدا قلقاً متوتراً :

- مالك يا أبو خالد؟ عمال تبص للتليفون كده ومش طبيعي، في حاجة؟!

- أبدا.. الواد حمزة اتصل بيا، تلاقيه عايز يطمن على خالد.

- طب ما تكلمه وتطمنه، ده تلاقيه قلقان من امبارح.

- ما أنا مش عارف بقى أكلمه ولا مكلمهوش، أنتي عارفه إنه واد لخمة وممكن يقول كلمة كده ولا كده يدخلنا في متاهات احنا في غنى عنها، وأنتي عارفة التليفونات متراقبة اليومين دول .

- آه والنبي عندك حق. (تتمتم) كان مستخبيلنا فين بس ياربي!

* * *

الفَصْلُ الثَّانِي

الكابوس

تتحرك سلاسل الزنزانة بقوة وينفتح بابها الحديدي بعنف، يدخل رجلان ضخما الجثة مفتولا العضلات وبيد أحدهما عصا رفيعة طويلة يضرب بها في الهواء ضربتين تثيران هواء الزنزانة الصغيرة بقوة، وتصدر صوتا قاسيا تستمع معه لصراخ الهواء من شدة الضربات، وهنا يفيق خالد من نومه في حالة ذعر شديدة ناظرا بعينيه المثقلتين بالنوم إلى الرجلين بخوف شديد:

- إيه؟ في إيه؟! هتعملوا فيّا إيه تاني ؟!

يبتسم أحدهما ناظرا إليه في غضب واستهزاء ومازال يضرب الهواء بعصاته الرفيعة ويحدثه بصوته الخشن:

- خايف يا حيلتها؟ بس عاملين رجالة في الشوارع وتيجوا هنا زي كلاب الشوارع مش كده؟

يعتدل خالد ويجلس إلى حائط الزنزانة مختبئا بين ذراعيه مرتعشا متلعثما:

- احنا مش كلاب، احنا ولاد ستين كلب لأننا مصريين، اضرب، اضرب زي ما أنت عايز، مابقتش أحس ومابقتش تفرق.

- لسه فيك نفس تتكلم يا خاين؟ لسه بتقاوح ومش ناوي تقول ع اللي سايقينك أنت والزبالة اللي معاك؟

يبتسم خالد وقد ارتكز نظره على تلك العصا الحائرة في فضاء الزنزانة :

- لأ خلاص، بطلت أقاوح، بطلت، هقول كل اللي عايزين تعرفوه عني. (تزداد ابتسامته انفراجا) وعن الزبالة اللي معايا .

يبتسم الرجل مشيحاً بعصاه لوجه خالد وكأنما يهدده من جديد

- ودي هتخليك تفتكر كل حاجة (يشير بسبابته إلى رأسه ساخرا) عشان لو الفطار نساك ولا حاجة .

يومئ خالد برأسه واثقا :

- لا متقلقش. فاكر كل حاجة. (يستند برأسه إلى الحائط يائسا، وترتكز عينه على سقف الزنزانة)، بالتفصيل. معاك سيجارة؟

يبتسم الرجل ساخرا بينما يشير إلى الرجل الثاني بالانسحاب من الزنزانة ثم يُخرج من جيبه سيجارة ويقذفها في وجه خالد:

- راجعلك تاني. (مشيرا إلى السيجارة) وابقى حكها في الحيطة عشان تولع (يضحك بسخرية). يستقبل خالد سيجارة الرجل بيديه متلهفا، ثم يقفز من مكانه صارخا متشبثا في قدم الرجل بقوة:

- لأ. أبوس إيدك دانا دماغي هتنفجر، بقالي أسبوع مشبرتش سيجارة واحدة.

يخرج الرجلان من الزنزانة ويغلق أحدهما الباب بقوة ويعيد السلاسل أدراجها، ثم ينظر إلى خالد من نافذة الزنزانة مبتسما ويرمي إليه علبة ثقاب ساخراً.

- لو مولعش معاك يبقى هترجع تحكها في الحيطة، (يضحك ضحكات شريرة بينما يغادران المكان، ويبتعد ثم يتلاشى صوت ضحكاتهما تدريجيا).

يلتقط خالد علبة الثقاب بلهفة شديدة ويفتحها فيجد بها عودا واحدا وقد ابتلت رأسه بما يجعله من المستحيل أن يشتعل، فيشعر خالد بالإحباط الشديد، ثم يعود لجلسته إلى الحائط ويركز نظره على سقف الزنزانة وقد قرر أن ينتظر حتى يجف عود الثقاب فيشعل سيجارته.

وتمر الدقائق سنوات طويلة حتى تعود أصوات السلاسل إلى التحرك من جديد، وينفتح باب الزنزانة بقوة ويصرخ أحدهم في وجه خالد:

- قوم معايا. (بنبرة قاسية) اتحرك.

ينتفض خالد من مجلسه في اتجاه باب الزنزانة بينما يلتقطه الرجل بأساور حديدية يقيد بها كلتا يديه فتسقط منه علبة الثقاب والسيجارة بينما يتابعهما خالد بعينيه وقد تمكن منه الحزن، ثم يسحبه الرجل خارج الزنزانة ويغلق بابها من جديد وقد أحكم غلقها ووضع السلاسل في حين يبتسم خالد:

- كل دي سلاسل ليه؟ هو أنا هروح منكوا فين؟ وبعدين أنا مشربتش السيجارة.

- اتحرك وأنت ساكت. قدّامي (ثم يدفع خالد بعنف أمامه فيكاد يسقط أرضا)

- متزقش بس. (ثم يهمس للرجل بخفة) معاكش سيجارة؟

- (بحزم شديد) لحد ما نوصل لهشام بيه مسمعش نفسك .

- هشام بيه؟ هشام بيه مين؟! (قالها وهو ينظر إلى الرجل الذي بدت عليه علامات القسوة والجدِّية، فينظر خالد إلى الأمام راسما وجه الخضوع وقد بدت عليه علامات القلق بينما يتحرك الرجل في سكون تام).

يقطع الرجل وخالد مسافة ليست بالقصيرة في ممر الزنازين مرورا بعدة غرف مغلقة ومعلق عليها لافتات لأسماء أشخاص وقد سبقت أسماؤهم رتبا عسكرية عدة حتى وصلا إلى ممر آخر إلي اليمين، وفي نهايته غرفة مغلقة وعليها لافتة مكتوب عليها: اللواء/ هشام سالم.

يطرق الرجل طرقتين على الباب ثم يمسك بمقبض الباب ويفتحه ويدخل ومعه خالد ضاربا التحية العسكرية في حزم شديد.

- خالد سعيد يا أفندم.

إلى يمين الغرفة يجلس هشام وقد أشعل سيجارته بينما يتابع بعينيه خالد بعدما نظر إليه نظرة شاملة مسحت كل أركانه بداية من شعر رأسه وحتى قدميه.

- سيبو وروح أنت.

- تمام يا أفندم.

يخرج الرجل من الغرفة ويغلق بابها بينما يتحدث هشام إلى خالد.

- خالد بيه الزعيم المبجل.. اقعد يابني. اقعد. (مشيرا إلى الكرسي في يسار المكتب) تاخد سيجارة؟

يفيق خالد من نومه مذعورا وقد تصبب عرقا وبدت عليه علامات الخوف والقلق بينما ينظر إلى أركان غرفته في حذر، ثم تتسلل إلى نفسه الطمأنينة، فهو مازال في غرفته، يتحرك باحثا بشغف عن علبة سجائره في كل مكان ولا يجدها.. ثم ينتبه إلى خزانة ملابسه التي اعتاد أن يخفي فيها علبته، فينتفض إليها باحثا فيها دون جدوى! يتلفت يمينا ويسارا في أنحاء الغرفة فتقع عينه على تلك "الصينية" على مكتبه، فيتحرك إليها بشغف ويمد كلتا يديه إلى الصحون بنهم شديد، فقد نال منه الجوع والعطش ما نال، ويأكل مما فيها بعشوائية وسرعة، وتتساقط منه بقايا الطعام على جانبيها، ثم يتناول كوب الحليب ويشرب منه بهمجية تغرق ملابسه بالحليب، ويظل هكذا لدقائق حتى يصعب عليه التنفس بعد أن انتفخ فمه تماما.. فيجلس على الكرسي ويلتقط أنفاسه ويستمر في التهام الطعام دون رحمة.. ثم ينتبه إلى ما يوقف حالة النهم التي تعتريه فيتوقف فمه عن المضغ، وتستقر عينه على باب الغرفة، ويجول بخاطره سؤال لا يجد له إجابة.. من أحضر هذا الطعام؟! ويتذكر ما حدث منذ ساعات قليلة عندما وجد هشام في غرفته يدعوه إلى الإفطار وها هو البيض "العيون" الذي وعده به هشام! هل مازال هشام هنا؟ !

يقوم من مقعده متجها إلى باب الغرفة في حذر شديد ويحاول فتح الباب دون جدوى، ثم ينفعل ويزداد غضبا محاولا كسر الباب، بينما يأتيه صوت من خلف الباب:

- خالد.. أنت كويس؟

يبتسم ثغره وتلمع عيناه

- ماما.. أنا كويس، أنتي كويسة؟ وبابا فين؟ أنتوا قافلين عليا الباب ليه؟!

- الحمد لله يا حبيبي احنا كويسين، وأبوك نزل يصلي المغرب وزمانه جاي عايز..

يقاطعها خالد:

- الحمد لله يارب.. الحمد لله. الباب مقفول عليا، أنا عايز اخرج يا ماما، هو أنتي اللي حطيتي الأكل ده؟ ها.. أنتي؟

- أيوه يا حبيبي، حاول تاكل، كُلْ كويس عشان تقدر تصلب طولك، كُلْ بالهنا والشفا.

- يا حبيبتي أنا كلت الأكل كله، أنا كنت جعان أوي.. تسلم إيديكي، بس أنا تعبان، عايز أخرج، عايز أروح الحمام. افتحيلي.

- حاضر يا حبيبي، استنى بس أبوك ييجي عشان المفتاح معاه، دقايق وهييجي، (وتتمتم بصوت منخفض) أعمل إيه بس ياربي؟! أعمل إيه!

تتحرك ليلى هنا وهناك وقد أصابتها حيرة شديدة وهي لا تدري كيف تتصرف، وتقرر الانتظار حتى يعود سعيد من صلاته، وفي هذه الأثناء يتحرك خالد في غرفته في كل الاتجاهات باحثا عن أي أداة حادة أو مفتاح يحاول به فتح باب الغرفة، فقد قرر ألا ينتظر من يشفق عليه فيخرجه من محبسه في غرفته.

وأخيرا يجد ضالته في أحد أدراج المكتب.. إنها أداة تقليم الأظافر وذلك السكين الصغير المختبئ في داخلها، فيفتحها ويبدأ عبثا في محاولة لفتح الباب فتصدر عنها أصوات تفاجئ ليلى التي تبدو مذعورة وغير قادرة على التصرف، ومازال خالد يحاول فتح الباب في حين يدخل سعيد من باب الشقة فتركض إليه ليلى في ذعر قائلة:

- الحمد لله.. الحقني يا أبو خالد، جيت في وقتك.

وتشير بيديها تجاه باب غرفة خالد، بينما يستوعب سعيد ما يحدث سريعا ويهم إلى باب الغرفة محدثا خالد في قلق شديد:

- خالد.. أنا أبوك، اهدا يابني، مالك في إيه؟

يتوقف خالد عن محاولاته مستقبلا صوت سعيد في حماس، ثم يحدثه بغضب شديد:

- أبويا.. أفتح يا أبويا، أفتح الباب. (ويزداد صخب صوته تدريجيا) افتح البااااب.. لو مفتحتش الباب هكسره.

يبدأ خالد في ركل الباب بعنف شديد، ثم يعود للخلف عدة خطوات مستجمعا قواه وينقض على الباب سريعا ضاربا إياه بكتفه بقوة علّه يستطيع فتحه، يؤلمه كتفه كثيرا دون أن ينفتح الباب فيحاول مجددا، وهنا تأتيه أصوات ليلى وسعيد محاولان تهدئته :

- اهدا يا حبيبي، اهدا، يارب استر يارب.

- حاضر يا خالد هفتحلك من غير ما تكسر الباب ولا حاجة، اهدا يابني أحسن تتعور.

يحاول خالد تهدئة نفسه وقد انهمرت دموعه :

- حاضر، حاضر، أنا هديت أهو، هديت، افتح الباب، أنا هادي أهو .

يقترب سعيد من الباب في هدوء وحذر ويخرج مفتاح الباب من جيبه، ويهم بفتح الباب، وهنا يستمع خالد بالداخل إلى صوت المفتاح يقتحم الباب فيرجع عدة خطوات إلى الوراء في قلق وقد اعتراه خوف شديد من ذلك الهاجس الذي يسيطر عليه، فلا يثق فيمن هم وراء الباب رغم ثقته في أصواتهم، ويبتعد عن الباب أكثر إلى الوراء مترقبا ما سوف يحدث عندما يكشف الباب عما وراءه، وهنا يدق أحدهم باب المنزل بعنف وبطرقات متسارعة مريبة فيلتفت سعيد وليلى إلى باب المنزل بينما تتجمد يد سعيد ويتوقف عن فتح الباب، وتحدثه ليلى في توتر شديد:

- يا ترى مين؟! خير اللهم اجعله خير.

- (سعيد في توتر) مين ده اللي بيخبط وهيكسر الباب ده كمان؟ احنا ناقصين توتر.

ثم يلتفت من جديد إلى باب غرفة خالد ويحدثه في هدوء:

- اسمع يا خالد.. هفتحلك حاضر، بس اشوف مين اللي ع الباب، خليك جوّه لحد ما أشوف مين، ده لمصلحتك يابني.

يتراجع خالد إلى الوراء بعيدا عن باب الغرفة فيصطدم بالسرير فيجلس عليه في قلق وقد احمرت عيناه ومازال لا يستوعب ما يحدث ولماذا لا يريد والده فتح الباب قبل التأكد من ذلك الزائر الذي يكاد أن يكسر باب الشقة، في حين يتوجه سعيد إلى باب الشقة وقد ترك مفتاح الغرفة في بابها وبحذر شديد يحدث ذلك الواقف خلف باب الشقة:

- مين؟ مين اللي بيخبط؟

فيجيبه الصوت القادم من خلف الباب:

- افتح يا عم سعيد.

يبدو الصوت مألوفا لسعيد والذي يهم بفتح الباب بعد أن اطمأن قلبه، ومازال خالد بداخل الغرفة يجلس على سريره مترقبا ما سوف يحدث حتى ملّ الانتظار، فقد مرت عدة دقائق دون جدوى، فيقرر التحدث إلى والديه من جديد ويقترب من باب الغرفة:

- رحت فين يا أبويا؟ مين اللي بيخبط؟ هو في إيه ما تفهموني؟ أنا عايز أخرج أبوس إيديكوا.

قال جملته وقد نال منه الإعياء من جديد بعد أن تسللت إليه حالة من اليأس ولم يعد لديه أمل في الخروج، وهنا يتحرك المفتاح من جديد في باب الغرفة وينفتح بابها في مفاجأة سريعة لم يتوقعها خالد الذي تقهقر إلى الوراء خوفا من ذلك المجهول، وإذا به يجد هشام أمامه من جديد يدخل إلى الغرفة في ثقة متناهية محدثا خالد الذي يعتريه الخوف وتزدحم المشاعر بداخله، فكلما فُتح الباب دخل إليه هشام، ومازال يستمع لصوت أمه وأبيه بالخارج، إلا أنه دائما لا يراهم، وتتداخل الأحداث بداخله فيعتصر الارتباك قلبه متسائلا في نفسه: لماذا لم يفتح والده الباب إلا بعد وصول هشام؟! ولماذا لا يدخل هو أو أمه بينما الذي يدخل هشام!

- إيه يابني؟ قلقتني عليك، أنت هتفضل حابس نفسك كده؟!

وهنا يقاطعه خالد وقد بدأ يفكر في هدوء فيما يحدث من حوله ويقرر أن يتحدث إلى هشام في هدوء هذه المرة ربما يفهم شيئا قد غاب عنه.

- قلقان عليا؟! على فكرة أنا مش حابس نفسي. (ثم يجلس على كرسي المكتب مستطردا) أنت إيه اللي جابك؟ وبعدين أنا كنت.. كنت. (ويدور بخاطره ذلك الكابوس الذي أصبح رفيقا لنومه) معاك سيجارة ؟

وهنا ينظر إلى باب الغرفة الذي مازال مفتوحا عن آخره مدققا النظر إلى خارج الغرفة، ويعود فيتساءل مشيرا بيديه إلى خارج الغرفة:

- همّا فين؟. ها.. فين ؟

ينظر إليه هشام في تعجب بينما يُخرج علبة سجائره من جيبه ويخرج منها سيجاريتن ويمد يده بواحدة منهما إلى خالد.

- خد ولع، شكلك خرمان، هما مين بقى؟ أبوك وأمك؟

يتناول خالد سيجارة هشام في حذر شديد ويستكمل الحديث محاولا إخفاء قلقه

- ولّع لي.

يشعل هشام سيجارته ويناول خالد ولاعته والذي بدوره يشعل سيجارته في نهم وشغف شديدين وينفث دخانها.

- آه.. أبويا وأمي، عملت فيهم إيه؟

يبتسم هشام في ثقة وخفة ويجلس إلى سرير خالد بينما يبحث بعينيه في أنحاء الغرفة محدثا خالد في بَلَهٍ:

ـ قتلتهم. (ويضحك في غموض غريب) هكون عملت فيهم إيه يعني؟ أنت عبيط يابني؟ (ثم ينظر يمينا ويسارا من جديد) هو مفيش طفاية هنا ؟!

ينتفض خالد في ذعر محدثا هشام في غضب وقد نالت منه إجابة هشام ما نالت، ويقوم من مجلسه متحركا في اتجاه باب الغرفة صارخا:

- أبووووووويا.. أمي.

فينتفض هشام أيضا ويلحق بخالد قبل أن يخرج من الغرفة وقد طوقه بكلتا يديه وهو يحدثه متعجبا:

- إيه يا خالد.. مالك؟في إيه؟! اهدا، اهدا .

ويسيطر هشام على خالد تماما محاولا تهدئته بينما خالد يحاول جاهدا التخلص منه دون جدوى فمازال يشعر بالإجهاد الشديد ولم يعد قادراً على المقاومة ومازال يصرخ:

- سيبني، سيبني، أبوويا.

وهنا يفقد خالد وعيه من جديد ويسقط أرضا من بين يدي هشام الذي يحاول رفعه من الأرض ووضعه على سريره في حين يهرع كل من سعيد وليلى إلى غرفة خالد فيجدانه مغشيا عليه فوق سريره ومازال جسده يرتعش بشدة ويبتل بنطاله، وقد فقد السيطرة على نفسه تماما حتى أدركه الإغماء، فتسرع ليلى في خلع بنطاله، وقد بدأ سعيد في قراءة بعض آيات القرآن، بينما يفتح خالد عينيه وقد أثقلهما الإعياء فيلاحظ في لمحة سريعة هشام وهو يخرج من باب الغرفة مرتبكاً

- أنا هجيب الدكتور، استر يارب، هو كان اسمه إيه يا عم سعيد؟

ويعود خالد فيغلق عينيه وقد أصبحت الرؤية أمامه ضبابية فلم يعد قادرا على تمييز الأصوات والأشخاص أمامه، فيلمح عدة أجساد تتحرك وجميعها تتشابه خلف ذلك الحجاب الذي يخفي الرؤية أمامه شيئا فشيئا حتى يغيب عن الوعي تماما.

- بسرعة يابني الله يباركلك، هتلاقي رقم عيادته على النتيجة بره، اسمه الدكتور عادل البحراوي .

يهدأ الجميع في غرفة خالد بينما صوت بكاء ليلى يتسلل إلى سعيد الذي مازال يتمتم بجوار خالد.. فينظر إلى ليلى في رفق ويحدثها وقد امتلأت عيناه بالدموع

- متقلقيش يا أم خالد. ربنا كبير أوي.

تنظر إليه ليلى وقد امتزج صوتها ببكائها وتلعثمت بين شفاهها الكلمات

- قلبي بيتقطع يا أبو خالد.. ربنا يعفو عنه يارب .

يتسلل ضوء القمر من النافذة إلى الغرفة المظلمة وقد أطفأ سعيد كافة الأنوار فيها فأصبحت رومانسية الأجواء، لا صوت فيها سوى تمتمات ليلى التي فتحت المصحف الشريف وأخذت تقرأ آيات من سورة البقرة بصوت منخفض، بينما غاب سعيد في نوم عميق على يمين خالد فوق ذلك الكرسي الذي قد ألصقه بالسرير كي يكون أقرب ما يكون إلى خالد، وقد مالت رأسه يمينا واستقرت على كتفه دون أن يشعر، بينما تتوقف ليلى عن القراءة وهي تُربت برفق على كتف سعيد.

- أبو خالد.. قوم ريّحلك شوية وأنا قاعدة جنبه.

يستفيق سعيد في لحظة ذعر ظنا منه أن هناك أمرا ما قد حدث بينما تحاول ليلى تهدئته..

- إيه.. في إيه؟ !

- خير يا أبو خالد، قوم ناملك شوية، قوم أنت تعبت النهاردة أوي ومنمتش من امبارح.

ينتبه سعيد لما حوله ويسترجع الأحداث سريعا بينما يفرك عينيه بكلتا يديه محدثا ليلى:

- خير اللهم اجعله خير، هي الساعة كام؟

- العشا أذّنت يا أبو خالد.

في هذه الأثناء يستفيق خالد على صوت أمه وأبيه وقد استمع إلى نهاية حديثهما وقد سيطر على أعصابه وهدوئه محاولا استكشاف ما يحدث من حوله دون أن يفتح عينيه، بينما يقف سعيد مستعدا للتحرك خارج الغرفة ويتثاءب بعمق مصدرا أصواتا تؤكد أنه قد غلبه النعاس تماما بينما يشعر بآلام في رقبته ويحاول تحملها

- يااااه.. الظاهر إني نمت كتير ، آه، رقبتي هتكسر.

- والنبي ما رضيت أقلقك ، ده هي نص ساعة، قلت فرصة تناملك شوية.

يشعر خالد بالارتياح من وجود والديه إلى جانبه ويستقر في نومه ويشعر بعدم قدرته على النهوض من شدة الإعياء والنعاس، ولكنه يحاول جاهدا أن يستيقظ ويتحدث إليهما، وفي هذه الأثناء تُسمع طرقات على باب الشقة، ويتحرك سعيد في اتجاه الباب متسائلا، ويلاحقه صوت ليلى من داخل الغرفة

- يا ترى مين! على الله يكون الدكتور.

- افتح يا أبو خالد وأنا هلبس الطرحة.

يفتح سعيد الباب وإذا بالطبيب عادل البحراوي، وهو طبيب الحي الطيب المعروف بكرمه وعلاقته الطيبة بالجميع، وهو رجل ستيني قد نال الشيب من شعره كثيرا، ونظارته السميكة تغطي عينيه، وفي يمناه حقيبته المعهودة وقد بدت عليه علامات القلق

- السلام عليكم. ازيك يا حاج سعيد.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ازيك يا دكتور، معلش قلقناك .

يدخل عادل إلى صالة الشقة بينما ينظر سعيد إلى الباب متمتما في تعجب :

- هو راح فين ده ؟!

بينما يستطرد عادل:

- لا مفيش قلق ولا حاجة، بس كان عندي حالة هي اللي أخرتني والله، خير يا عم سعيد، ماله خالد؟

يشير سعيد إلى غرفة خالد وهو يغلق باب الشقة بعد أن تأكد من حضور الطبيب بمفرده، ويرحب به ويدعوه إلى الدخول إلى الغرفة .

- من ساعة ما خرج يا دكتور وهو مش طبيعي، وكل ساعة والتانية يتنفض ويتعصب وتجيلو نوبة كده يقعد يكسر في أي حاجة قدامه، ويترمي ع الأرض ولا حد بيقدر عليه، لحد ما فجأة يغيب عن الوعي، و لسه من ساعتين كده كان..

وهنا يقاطعه عادل في تأثر شديد في حين يستمر سعيد :

- لا حول ولاقوة إلا بالله .

- كان هيكسر الباب (متأثرا) بس أنا حاسس بيه لأنه مش في حالته الطبيعية .

- واضح جدا من كلامك إنه محتاج مهدئات، وأعتقد هنحتاج طبيب نفسي، بس دي خطوة لسه بدري عليها.. ممكن أشوفه؟

- اتفضل يا دكتور (مشيرا إلى غرفة خالد) .

يدخل عادل وسعيد إلى غرفة خالد الذي مازال مستلقيا على سريره بينما تمر الثواني وهو ما بين النوم والاستيقاظ، غير قادر على فتح عينيه وقد أثقلهما الإعياء الشديد وهو يستمع إلى الأصوات من حوله وقد بدت عليه حالة من السكر الشديد وكأنه قد شرب حتى الثمالة، فرأسه ثقيل جدا ولم يعد قادرا على التحكم في عضلات جفنيه، ويشعر بثقل جارف في لسانه وكأنه قد نال جرعة كبيرة من المخدر فيحاول جاهدا أن يستخدم عقله فقط في استيعاب ما يحدث من حوله، ويقف إلى جانبه الدكتور عادل وسعيد، وتقف ليلى على مقربة منهم .

- ايدك معايا يا عم سعيد (مُخرجا جهاز قياس الضغط من حقيبته) عايز أشوف الضغط أخباره إيه.

يتقدم سعيد لمساعدة الطبيب في رفع ذراع خالد لقياس الضغط بينما يضع الطبيب سماعته في أذنيه ويومئ بوجهه في قلق و يتابعه سعيد

- الضغط واطي، كويس انه نايم دلوقتي عشان لازم ياخد حقنه حالا، أشك إنه ممكن يدخل في غيبوبة.

- غيبوبة؟! سترك يارب.

يعبث عادل في حقيبته ويبدأ بإخراج أدواته لحقن خالد بينما يزداد توتر ليلى وقلق سعيد اللذان يتبادلان النظرات من خلف الطبيب، ويهم عادل بإعطاء خالد حقنة "لازيكس" والتي تُعطى في شكل حقن وريدي في حالات الطوارئ فقط، وقد غاب خالد عن الوعي تماما وغابت عن أذنيه تلك الأصوات، وربما أنه قد دخل في غيبوبة كما توقع الطبيب، وينتهي عادل من حقن خالد في وريده الأيمن في هدوء تام، ثم يُلقي بتلك الحقنة الفارغة في سلة القمامة في أحد أركان الغرفة، ويلقي معها قطعة قطن صغيرة قد استخدمها في تطهير مكان الحقن في ذراع خالد، ثم يضع يده اليسرى على جبين خالد مُستشعرا انخفاضا حادا في درجة حرارته حتى أنه أصبح باردا، ويُومئ برأسه مؤكدا ما توقعه لحالة خالد.

- إن شاء الله الحقنة دي هتهديه وتظبط الضغط.

يمد عادل يده إلى عيني خالد ويفتحهما بهدوء فإذا بكلتيهما حمراوتين احمرارا دمويا، وقد بدت شعيرات عينيه الدموية بارزة في شكل مخيف فيزداد قلق عادل، ثم يضع سماعته الطبية في أذنيه مرة أخرى ويرفع ملابس خالد ويبدأ في الكشف على قلبه في توتر، ويستقر بها على يسار صدر خالد، ويستقر بعينيه على نافذة الغرفة المطلة على الشارع في هدوء استمر لثوان

ليست بالقليلة، ثم يخلع سماعته ويعيد ملابس خالد ويواري جسده بتلك الملاءة التي غطته بها ليلى في حين يتابعه سعيد:

- خير يا دكتور.. شايفك قلقان!

- طبعا قلقان.. الولد حالته تخوف، النبض طبيعي، بس الضغط واطي، وعينه حمرا، وده معناه إن حالة القلب شبه مستقرة، بس حمار العين والضغط الواطي وجسمه المتلج ده ملوش غير معنى واحد، إنه داخل في غيبوبة، وخصوصا إنك بتقول بتجيلو نوبات عصبية.

يزداد توتر سعيد وليلى بينما يستطرد عادل

- احنا ممكن نديلو منبهات لأنها على ما أعتقد لحد دلوقتي غيبوبة متوسطة (يحاول توضيح الأمر) أقصد يعني لسه في أولها وممكن يفوق منها، بس ضروري نسيطر على الضغط الأول، الحقنة اللي اديتهالو إن شاء الله هتجيب نتيجة، وهو أصلا مش مريض ضغط، يعني تقدر تقول حالة عارضة نتيجة للفترة الصعبة اللي عدت عليه، ده حتى التنفس طبيعي جدا.

- يعني إيه يا دكتور؟ هنحتاج ننقله مستشفى ولا إيه؟

تقاطعهم ليلى وقد امتلأت عيناها بالدموع:

- الواد هيروح مني يا أبو خالد.. الواد هيروح مني، منهم لله اللي كانوا السبب.

- اطمن يا حاج سعيد، احنا هنمشي مع الحالة واحدة واحدة، نظبط الضغط ونديلو منهات ونشوف تطور الحالة إيه، وربنا كبير. (يلتفت إلى ليلى) اطمني يا حاجة.

- ربنا يطمن قلبك يا دكتور (تنظر ليلى إلى نافذة الغرفة في خشوع) جيب العواقب سليمة يارب.

يخرج الجميع من غرفة خالد في هدوء، وفي صالة المنزل يقف سعيد والدكتور عادل وتجلس ليلى فلم تعد قادرة على الوقوف وقد نال منها الإعياء قلقا على خالد، ويحاول عادل طمأنتهم.

- أنا هرجعله الصبح إن شاء الله، ولو حصل أي حاجة كلمني على الرقم ده.. ربنا يقومه بالسلامة.

يلتقط سعيد هاتفه ويدون رقم المحمول الخاص بعادل.

- معلش يا دكتور تاعبينك معانا وأملنا في ربنا كبير يكون شفاه على إيدك.

- ولا يهمك يا حاج سعيد، خالد زي ابني. سلامو عليكو.

يُخرج سعيد محفظة نقوده ويشير إلى الطبيب بمبلغ مالي بينما يرفض عادل بشدة.

- عيب عليك يا حاج سعيد، خلى الحساب بعدين، المهم نطمن عليه.

يصر سعيد على إعطاء المبلغ إلى الطبيب، وكذلك يصر الطبيب على الرفض وقد أمسك بيده مطبقا عليها بقبضته وهو يفتح باب الشقة محدثا سعيد:

- خلى فلوسك في جيبك لحد ما نطمن على خالد، ربنا يعافيه ويطمنكو عليه (ويكرر التحية) سلامو عليكو.

يستسلم سعيد لرغبة الطبيب في حرج شديد

- ربنا يباركلك يا دكتور. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

يُغلق سعيد الباب خلف الطبيب، وفي هذه الأثناء تأتيه مكالمة على هاتفه المحمول يستجيب إليها سريعا :

- آلو. أيوه يابني. أنت رحت فين؟

يظل سعيد منصتا لثوان قليلة قبل أن يتحدث في حزن وأسى:

- آه. طب اطلع يابني، طيب يا حبيبي ربنا يباركلك. والله يابني مطمّنيش أوي، خالد داخل في غيبوبة وضغطه واطي ومش عارفين لسه، الصبح إن شاء الله هيجيلو الدكتور تاني. ادعيلو يابني. (ينصت قليلا للطرف الثاني) خلاص حاول تيجي الصبح، ولو كده ابقى كلمني عشان اقولك هيروح فين، احتمال ننقله المستشفى، (ينهي المكالمة) وأنت من أهله يابني. مع ألف سلامة.

يضع سعيد هاتفه جانبا وينظر إلى ليلى التي تابعت المكالمة في إنصات، ثم قامت متجهةً إلى الحمام تستعد للوضوء لأداء صلاة العشاء التي تأخرت كثيرا عنها

- هتصلي العشا يا أبو خالد ؟

- يلا يا حاجة نصليها جماعة .

ينظر هشام إلى خالد في غضب وقد أحكم قبضته على تلك الكرة المطاطية السوداء وأخذ يضغطها ثم يبسطها عدة مرات

- إيه الحكاية؟ فاكرينها لعبة؟ كل شوية نلمكوا من حتة؟ احنا فاضينلكوا انتوا كمان؟

يجلس خالد على الكرسي المقابل لمكتب هشام مرتعشا وتسيطر عليه مشاعر الخوف والثقة ممتزجتين محاولا إخفاء خوفه وتغليب ثقته

- حكاية بلد ملهاش كبير (يرفع رأسه ويضع عينيه في عين هشام مباشرة) ده لو عايز تعرف الحكاية بجد.

ينفعل هشام وتزداد نبرة الغضب في حديثه

- ملهاش إيه يا حبيبي؟ ملهاش كبير؟! واحنا مش عاجيبنك ياله؟ (يستدرك هدوءه محاولا الانتصار على ثقة خالد) شكلك لسه مش عارف أنت فين. أنت يا بني هـــ...

يعتدل خالد في جلسته وقد ازداد شعوره بالثقة مقاطعا هشام :

- قبل ما تكمل يا باشا، عارف أنا فين كويس أوي، وعارف ممكن تعملوا فيَا إيه (يبتسم ابتسامة بطل مهزوم مندهشاً) هو صحيح لسه في حاجات متعملتش معايا ؟ !

يتكئُ هشام على مكتبه واضعا كلتا يديه أمامه

- داحنا يادوب رحبنا بيك، أنت ضيفنا ولازم تاخد واجبك كامل. (يبتسم ابتسامة شريرة تَبثُّ الخوف في قلب خالد).

يتدارك خالد خوفه ويحاول مجددا الفوز بالجولة التالية

- أنا بقيت صاحب بيت، يعني مبقتش غريب، ضيف إيه بقى! (مازحاً) ده عيش وملح.

ينفعل هشام مجددا ويضرب بكلتا يديه على المكتب وقد احمرت عيناه غضبا

- ماتحاولش تستفزني لأنه مش في مصلحتك (منفعلا) هات م الآخر ياله، أنت مع مين؟

تزداد ثقة خالد ويستمر في معركته الحوارية مستخدما كافة أسلحته

- أيواااا.. أنا مع مين ؟ هو ده السؤال اللي مش عارفله إجابة، وأنت بقى اللي هتقولي أنا مع مين .

قال جملته وقد قام من مجلسه متجها إلى مكتب هشام ثم مد يده إلى المكتب متناولا ولاعة هشام وعلبة سجائره في خفة

- كنت وعدتني بسيجارة، والحكومة مينفعش تخلف وعدها، ولا إيه؟

يخرج سيجارة من علبة هشام ويشعلها ثم يُعيدها هي والولاعة إلى المكتب و يأخذ نفسا عميقا وقد بدا مُنتشيا، ويتابعه هشام مندهشاً فيستطرد خالد:

- أنت عارف أنا بقالي قد إيه خرمان؟ (يبتسم إلى هشام) مفيش بقى كوباية شاي يا حكومة؟ ما احنا هنقعد ونحكي ونشوف مين مع مين ومين على مين، ودي قعدة يلزمها دماغ مكلفة (يبدو وكأنه يقدم عرض الساحر) وأنت اللي هتكلف يا باشا. (يبتسم ابتسامة واثقة يملؤها الخبث) ما أنا لازم آخد واجبي كامل يا باشا.

يدير هشام وجهه ناظرا إلى ذلك الكرسي الذي كان يجلس عليه خالد، ثم يتناول علبة سجائره والولاعة ويُشعل هو الآخر سيجارة ويتحدث إلى خالد بحكمة، ويبدو أنه قد اتخذ القرار باستكمال الحوار مع ذلك الشاب غريب الأطوار في هدوء ، فذلك النوع من الأذكياء لا يجدي معهم ذلك العنف المعتاد، كما أنه نال قسطا وفيرا من التعذيب ولم تعد ترهبه قسوة المعتقل، وربما أن لديه الكثير من المعلومات التي قد تفيد.. أو أن هشام قد نال منه الشعور بالهزيمة وقرر أن ينتصر بشكل آخر.

- اقعد يا بني، اقعد.

يضغط هشام على زر إلى يمين مكتبه يُصدر صوت رنين مزعج وصاخب، وفي ثوان قليلة ينفتح باب الغرفة ويدخل أحدهم.

- تمام يا افندم.

يجلس خالد على كرسيه من جديد وبين يديه سيجارته الممتعة، بينما يسأله هشام

- سُكّرك إيه؟

يبتسم خالد في بَلَهٍ وينظر إلى ذلك العسكري المتجمد أمام الباب

- مظبوط يا دفعة ... وكوباية مايه وحياة والدك.

ينظر هشام إلى خالد في تعجب ثم ينظر إلى العسكري

- هاتله شاي وكوباية زفت .

- تمام يا أفندم.

يخرج العسكري من المكتب بعد أن ضرب التحية العسكرية ويغلق الباب من خلفه ويتابعه كل من خالد وهشام، ثم تلتقي أعينهما

- غلابة والله العساكر دول، شوف يا باشا الراجل ده أهله طلع عينهم فيه أكل وشرب ولبس وتعليم وعلاج عشان بعد كل العمر ده ييجي يعمل كوباية شاي لواحد هلفوت زيي (يضحك ضحكة حزينة) هلفوت بيخدم هلفوت، آه، مانا بردو أهلي تعبوا معايا أكل وشرب ولبس وتعليم وعلاج، بس هلفوت .

يبتسم خالد إلى هشام في يأس وهو يتابع حديثه

- كتروا أوي الهلافيت يا باشا، هلفوت ينزل مظاهرة، وهلفوت يقبض عليه، وهلفوت يعذبه، ولا مؤاخذة يخزوقه، وهلفوت ييجي يعمله شاي، أنت عارف يا باشا...

يتابع هشام حديث خالد في صمت وتبدو نظراته وكأنه يتابع مسلسل تليفزيوني غير مفهوم الأحداث، ومازال خالد يتابع حديثه

- مرة زمان أبويا قاللي يابني امشي جنب الحيط أنت مش قدهم،احنا بالنسبالهم هلافيت، وأنا مفهمتش أوي يعني، بس سمعت كلامه ومشيت جنب الحيط، ودايما كان نفسي أعرف إيه اللي بيحصل ورا الحيط ده، لحد ما جيت هنا وعرفت، وفهمت إن علاقتي بالحيط هتبتدي هنا مش هتخلص هنا، لحد ما بقينا كلنا نص ماشي جنب الحيط ونص بيخبط دماغه في الحيط، بيني وبينك هلفوت ماشي جنب الحيط أرحم كتير من هلفوت بيخبط دماغه في الحيط، هو اللي بنى الحيط ده بناه عشان نمشي جنبه ولا عشان يحبسنا وراه؟ ولا يمكن عشان يستخبى هو وراه! صدعتك أنا ياباشا. هو الشاي اتأخر ليه؟

يتنهد هشام وينظر إلى خالد ويعم الصمت في المكان لثوان، ثم يحاول هشام التقاط طرف الحديث

- ولما أنت عارف إنك هلفوت ماتخليك ماشي جنب الحيط أحسنلك بدل ما يتهد على دماغك أنت واللي زيك. ها؟ مسمعتش كلام أبوك ليه؟ مين اللي وزّك ؟ مين اللي جرأك ع الحيط واللي ورا الحيط؟

يبتسم خالد وقد بدت عليه علامات الحزن والأسى وقد تمكن منه اليأس

- بص يا باشا.. مادام اتفقنا إن في حيط يبقى متسألنيش بقى، مانا قلتلك كان نفسي أعرف إيه اللي بيحصل ورا الحيط ده، بتفكرني بأفلام السيما، دايما تمسكوا ناس وتسألوهم عن الناس اللي وراهم! طب ما تمسكوا الناس اللي وراهم من الأول! اشمعنى يعني بتعرفوا تمسكونا احنا! مادام أنتوا شاطرين أوي كده يبقى أكيد عارفين مين مع مين،ومين بيزق مين، ومين على مين، الحكومة مش هتغلب يا باشا، أنتوا من الآخر عايزين دايما حد يبقى ماشي جنب الحيط عشان لما يهد يهد عليه. (يضحك بسخرية) ما أنتوا اللي بنيتوا الحيط يا باشا، الحيط يا باشا يداري، حيطة الغلابة بتحميهم من البرد والزمن والنوم على الأرصفة والجوع، بتحميهم ياباشا من كلاب الشوارع، لكن حيطتكوا أنتوا بتداري عنهم الحقيقة.

طرقات على باب الغرفة ينفتح بعدها الباب ليكشف عن ذلك العسكري الذي يحمل بين يديه " صينية " وعليها كوبا من الشاي وآخر من الماء يتقدم في اتجاه المنضدة إلى جوار خالد ويضعها ، ثم يلتفت إلى هشام

- تمام يا افندم.
- (هشام مشيرا إلى خارج الغرفة) روح أنت .

يخرج العسكري ويغلق الباب من خلفه بينما يتناول خالد كوب الماء ويشربه في شراهة، وتتساقط المياه عليه، ثم يتدارك نظرة هشام إليه ويعيد الكوب إلى مكانه مبتسما

- لا مؤاخذة يا باشا، بهدلتلك الدنيا.

يبتسم هشام في سخرية مفاجئاً خالد.

- أخبار إيمان إيه؟

يعتدل خالد وينظر إلى هشام في جدية

- بلاش إيمان ياباشا (تلمع عيناه) بلاش يا باشا

ينهض هشام من كرسيه ويطفئ سيجارته ثم يتحرك في اتجاه خالد وخطوات حذائه العسكري تبث الرعب في قلب خالد حتى يصل إليه ويقف أمامه ثم ينحني واضعا كلتا يديه على كتفي خالد وقد التقت أعينهما في تحد

- عمري ما عملت اللي بتفكر فيه (في لهجة تأكيد) عمري. (يضغط بكلتا يديه على كتف خالد بقوة) عارف ليه يا خالد؟

يحرك خالد رأسه يمينا ويسارا متسائلا بوجهه ويكمل هشام كلماته بلغة أكثر صرامة

- لأنكوا زي ما أنت قلت (يحتد صوته وتتجمد ملامحه) هلافيت.

يعتدل هشام في وقفته من جديد، ويربت بهدوء على كتفي خالد، ثم يتجه إلى كرسيه من جديد في حين يرتعش جسد خالد

- اشرب الشاي.

يتناول خالد كوب الشاي ويرشف منه رشفة سريعة، ثم يضع الكوب مرة أخرى وينظر إلى هشام الذي جلس على مكتبه وتناول كرته المطاطية من جديد وأخذ يضغطها ويبسطها عدة مرات

- شايف الكورة دي يا خالد (يضحك بسخرية) أنا ممكن أفعصك زيها كدة طول ما أنت بتلف وتدور، لكن لو فتّحت مخك معايا وحكيتلي كل حاجة هروحك بيتكو معزز مكرم ولا كأني شفتك قبل كده، إنما هتقعد بقى تحّور وتوّهني معاك مش هرحمك لا أنت ولا المقاطيع بتوعك (يحتد من جديد) حكايتك إيه ياله؟

يتناول خالد كوب الشاي من جديد ويرشف منه، ثم يتحدث إلى هشام وقد أحاط كوب الشاي بكفيه واستقرت كلتا يديه على فخذيه وقد انحنى ظهره حتى استقرت عينه على أرضية الغرفة

- مَنَا قلتلك يا باشا.. حكاية هلفوت في بلد ملهاش كبير، أنت عارف ياباشا إني مش خايف منك لا منكوا كلكوا؟ أنتوا بتعلمونا هنا إزاي نستحملكوا أكتر ما احنا مستحملينكوا.. بتعلمونا إزاي الـ "لأ" تبقى ميت "لأ " ومليون، أنتوا م الآخر بتعلموا علينا لدرجة إننا بقينا بنعرف بعض. (يبتسم بسخرية) آه والله بنعرف بعض، نشوف بعض في أي حتة نعرف بعض، أنا كنت بخاف من الموت لما كنت بره. آه كنت بخاف وأنا بره إني أبقى جوه، بس اللي بيدخل جوه بيكره يبقى بره، والـ "لأ " اللي كان بيقولها بره من بره بقى بيقولها جوّه من جوّه (يشير بيديه إلى صدره) من جوّه أوي ياباشا.

يتمالك هشام غضبه ويضغط بقوة على كرته قبل أن يقول

- يابني أنتوا اللي بتخلونا نعمل فيكوا كده، البلد فيها اللي مكفيها، وأنتوا مصرّين بغباءكوا تخربوها أكتر ما هي خربانة، شوية عيال لسه

مطلعوش م البيضة ييجي واحد يضحك عليهم بكلمتين ويديهم قرشين يقووا قلبهم يطلعوا علينا زي الصراصير لما بتخرج م البلاعه (يضم سبابته وإبهامه) وآخرتها تلاقي شوية صرايرر بيهددوا أمن البلد، تفتكر نعمل فيهم إيه؟

يجيبه خالد بسرعه وثقة بالغين

- تديهم بالجزمة ياباشا، تفعصهم، تنضَّف البلد منهم، حقك يا باشا (يتوقف للحظة رافعا رأسه في ثقة) ده لو هما فعلا صراصير، إنما لما يكونوا شباب بلدك وليهم حق ينفع يا باشا تتعامل معاهم زي الصراصير؟ مين قالك يا باشا إن في حد ضحك علينا بكلمتين؟ مين قالك إننا خدنا قرشين؟ (يتمعن في التفكير قليلا ثم يتابع) ابنك ياباشا لو قالك أنا عايز اشتري البنطلون ده، ومن حقه ما أنت اللي قدامه، أنت أبوه ياباشا، هتعمل إيه؟ حاجة م الاتنين.. يا تجيبهولو لو قادر تجيبهولو طبعا، يا تفهمه إنك مش قادر تجيبهولو وتقنعه إنه لازم يصبر لحد ما تجمّع تمن البنطلون وتشوف بقى إذا كان البنطلون ده حاجة أساسية ولا كماليات! لكن عمرك ياباشا ما هتفعصه برجلك عشان بيطالب بحقه، وخصوصا لما تكون أنت لابس بدله (ينظر إلى هشام من رأسه إلى قدميه) تمنها يفتح مصنع بنطلونات ياباشا، ماهو لازم يثور عليك ويقلب الدنيا، أصله مش مقتنع ياباشا، ومش لاقي حد يقنعه، لا لاقي حد يجيبلو البنطلو، أهي الناس كلها بره ياباشا عايزة البنطلون، عايزة الستر ياباشا. (يضحك في سخرية) بيع البدلة يا باشا وهاتله البنطلون، وهاتلك بنطلون زيه، وأهي تبقى قسمة

العدل. (يبتسم بسخرية شديدة تثير غضب هشام) حد يعمل كده في ابنه ياباشا؟!

ينفعل هشام بشدة ويقف من جديد صارخا مناديا للعسكري الواقف خارج الغرفة

- **بدراااان.**

* * *

يفيق خالد في ذعر شديد وقد اختنقت أنفاسه وأصابته شرقة أخذ يسعل بفعلها لثوان ليست بالقليلة أرغمته على الاعتدال في سريره والاتكاء على خلفية السرير وقد أمسك بعنقه محاولا تمالك نفسه، وما زالت عيناه مثقلتان، ويجتمع في فمه مخاط من شدة السعال فينظر يمينا ويسارا باحثا عن منديل ورقي أو ما شابه للتخلص مما في فمه لكن دون جدوى، ثم يهم بالوقوف على الأرض باحثا عن سلة القمامة التي يجدها في ركن الغرفة المقارب لبابها، فيتجه إليها مسرعا ويرفعها بيديه ويبصق فيها حتى تهدأ أنفاسه قليلا، بينما يلمح بعينيه تلك الحقنة الفارغة الملقاة في السلة فيتناولها بهدوء وحذر وينظر إليها في تعجب ثم يحاول استنشاق رائحتها وسريعا يبعدها عن أنفه فرائحتها نفاذة، ثم ينظر إليها مجددا متسائلا في نفسه عن سبب وجودها في سلة المهملات في غرفته، وتلك الرائحة التي تدل على أنه تم إلقاؤها في السلة منذ وقت قصير..كما أن هناك قطعة قطن مازالت مبتلة، ثم ينظر إلى يديه فيجد فيها لاصقا طبيا، يرفعه بهدوء فيجد أثرا لحقنة طبية قد حقنها له أحدهم.. فيثور غضبه وخوفه من جديد، فهذا الأمر يذكره بعشرات الحقن التي تم حقنها في جسده عنوة أثناء تواجده في المعتقل، والتي كانت تصيبه دائما بنوبات أشبه بنوبات مدمني الهيروين عندما يحرمون منه، ثم يلتفت إلى باب الغرفة المفتوح لأول مرة منذ وجوده في منزله فيهرع إليه في حذر، ثم يخرج إلى صالة المنزل وإذا بكل شيء كما هو، ذلك "الأنتريه" وذلك التلفاز، وذلك الممر إلى حمام المنزل والمطبخ، وذلك الباب إلى يسار الصالة والمؤدي إلى غرفة أبيه وأمه.

السكون يملأ المكان، وصوت المذياع يمر بهدوء في المكان، وهنا يجلس خالد على كرسي والده وقد شعر بالأمان في بيته، ذلك الشعور الذي اشتاق إليه كثيرا، وتمر عينه على ساعة جدارية في أقصي يمين الغرفة حيث تشير إلى الثالثة صباحا، ثم ينتقل بعينيه إلى تلك "النتيجة" التي تشير إلى تاريخ اليوم، وبينما يفكر في ذلك يفاجئه رنين هاتف والده المحمول الموجود على منضدة إلى جانب الكرسي فيتناوله بهدوء وينظر إلى شاشته، فإذا باسم الحاج جمال الراوي صديق والده الذي اعتاد إيقاظه مبكرا قبل آذان الفجر بساعة كاملة كي يستعدان لصلاة الفجر، فالحاج جمال هو مؤذن مسجد الحي وسعيد إمامه، فيتردد خالد في الرد على الهاتف، ثم يقرر الرد..

- آلو. صباح الفل يا عم جمال.
- .....
- الله يسلمك. ليك وحشة والله يا عم جمال .
- .....
- الحمد لله. أنا بخير. معلش أصلي لسه صاحي ومش مجمع.
- .....
- عينيا حاضر . ربنا يتقبل يا عم جمال. سلامو عليكو.

ينهي خالد المكالمة ويضع الهاتف جانبا ويستمع إلى صوت أبيه في الغرفة المجاورة يردد بعض الأدعية الصباحية ويستعد للوضوء، يقف في مكانه منتظرا خروج والده من الغرفة، وتقترب خطوات والده من صالة المنزل حتى

يظهر أمامه سعيد والذي بدوره يفاجأ بوجود خالد في صالة المنزل فيصرخ بحب واشتياق

- خالد! (مندهشا) يا حبيبي يابني. أنت كويس؟ يافرج الله، الحمد لله، الحمد لله على سلامتك يابني.

يحتضن سعيد خالد بحب شديد ويضمه إلى صدره بقوة وهو يضغط على جميع أجزاء جسده محاولا الاطمئنان على سلامته، بينما يقف خالد متجمدا ولا يحرك ساكنا.

- يااااه يا خالد. دانا كنت قلقان عليك أوي، وأمك هتموت عشان تطمن عليك .

مازال سعيد يحتضن خالد بينما يقف الأخير متعجبا غير مدرك لما يحدث، ثم ينطق بكلمة واحدة:

- أمي.. أمي فين؟

- نايمة يا حبيبي. ثانية واحدة أصحيهالك. يا أم خالد، اصحي يا أم خالد، ياما أنت كريم يارب.

يتحرك سعيد في اتجاه غرفته مناديا ليلى وقد بدت عليه علامات السعادة والارتباك، بينما تجيبه ليلى بصوت متلعثم:

- خير يا أبو خالد. في إيه؟

- اصحي يا ولية، خالد صحي وبيسأل عليكي، تعالي خدي ابنك في حضنك.

تنهض ليلى من سريرها بسرعة وتخرج من غرفتها مرددةً:

- ياما أنت كريم يارب، ياما أنت كريم يارب.

تخرج ليلى من غرفتها إلى صالة المنزل وإذا بخالد يقف في مكانه مدققا النظر في والده، ثم يلتفت إلى صوت ليلى فتنفرج أساريره، فصوتها يقترب، ثم تظهر أمامه، وها هو وجهها الطيب يبتسم إليه، وهنا ينطلق خالد في اتجاه أمه بسعادة بالغة ويحتضنها بقوة ويقبل رأسها ويديها ويحتضنها بشدة

- ماما، وحشتيني يا ماما، وحشتيني أوي، عاملة إيه يا حبيبتي؟

يأخذ خالد ليلى إلى الكنبة المقابلة ويجلسها ثم يجلس أرضا إلى جوار قدميها ويحتضنها، وفي هذه الأثناء يقف سعيد وقد انسكبت الدموع من عينيه فأخذ يجففها بيديه متمتماً: .

ـ ألف حمد وشكر ليك يارب، ألف حمد وشكر ليك يارب.

يتحرك سعيد في اتجاه خالد وينحني إلى جواره مُقبّلا رأسه في حب فيرتعش خالد عند شعوره باقتراب أبيه منه، وينظر إليه نظرة غير مفهومة، ثم يعيد النظر إلى أمه في قلق، وما زالت ليلى تحتضن خالد وتقبل رأسه وقد امتلأت عيناها بالدموع.

يتحرك سعيد في اتجاه الحمام للوضوء دون أن يتوقف عن شكر الله وحمده على سلامة خالد وعودته إلى بيته سالما بعد فترة طويلة من العناء

والقلق وأيام قضاها بين نوبات الغضب وفقدان الوعي، إنه اللقاء الأول لخالد بوالديه بعد عودته من المعتقل مريضا طريح الفراش.

- هو أنا جيت هنا إزاي يا أمي؟ هو إيه اللي حصل؟ أنا خرجت امتى وإزاي؟ أسئلة كتير مجنناني، ريحيني يا أمي وفهميني .

- ياااه. دي حكاية طويلة أوي يابني، بس أنا مش فاهمة أنت بتبصله كده ليه؟ ومسلمتش عليه؟ أنت زعلان مننا يابني؟ والله حاولنا نعملك أي حاجه وكل حاجة من غير فايدة، منهم لله اللي عملوا فيك كده، منهم لله.

يتكئ خالد برأسه على ساقِ ليلى وقد انتابه شعور بشيء غريب لم يكن قادرا على البوح به لـ ليلى

- أنا تايه يا أمي، تايه ومش فاهم حاجة !

يخرج سعيد من الحمام بعد أن أكمل وضوءه ويقفُ أمام باب الشقة مستعدا للخروج إلى المسجد

- مش هتأخر عليكو ... (يبتسم بحب لليلى) خلي بالك من خالد يا أم خالد، توكلنا على الله.

يخرج سعيد من الشقة ويغلق الباب من خلفه بينما ما تزال عينا خالد معلقة على الباب

- ادعيلنا وأنت ساجد، ادعيلنا ربنا يتم شفا خالد. ربنا يتقبل يارب.

صوت سعيد يأتي من خارج الشقة وهو يبتعد تدريجيا.

- آمين يارب.آمين. سلامو عليكو.

تقترب الساعة من الخامسة صباحا وقد غط خالد في نوم عميق بين يدي ليلى في صالة المنزل وقد وضعت ليلى كلتا يديها على شعره وأخذت تداعبه بحب مرددةً آيات من القرآن الكريم حتى تأكدت من نوم خالد بين يديها، وهنا يفتح سعيد باب الشقة ويدخل فتبتسم إليه ليلى

- حرما يا أبو خالد.

ينظران معا في لحظة واحدة إلى خالد في حب، وتتلاقي أعينهما

- جمعا إن شاء الله. بيتهيألي دي أول مرة ينام مرتاح، ربنا يعافيه يارب.

- ده مش حاسس بالدنيا وعرقان، خايفة ياخد برد، هاتلي والنبي البطانية من على سريره يا أبو خالد، أنا هسيبه كده لحد ما يقوم لوحده.

يتحرك سعيد في اتجاه غرفة خالد، يدخلها ثم يخرج منها سريعا ويتجه إلى خالد فيغطيه جيدا ويحكم عليه الغطاء مُحدّثاً ليلى:

- خالد مش طبيعي يا أم خالد، الواد كان بيبصلي بصات غريبة كأنه خايف مني.

- مش عارفه يا أبو خالد، بس أنا حسيت واستغربت.

- خالد لسه مخفش يا أم خالد، ربنا يستر من اللي جاي. ربنا يستر.

* * *

الفَصْلُ الثَّالِث

ما بين الخوف والحقيقة

إن أفضل اللحظات التي تمر بها في حياتك هي تلك التي تعي فيها جيدا ما هي أسوأ اللحظات التي مررت بها، فعندما تدرك أن مريض السرطان ليس لديه سوى خيار الإرداة في الشفاء وبعض المركبات الكيماوية المؤلمة ستدرك أيضا أن ما تعانيه قد لا يعدو كونه حكة بين ثنايا جلدك، ومازال لديك العديد من الخيارات للتخلص منها، كذلك تبدو لك لحظات الخوف، فلا يجب عليك أن تخشى الظلام بينما تجلس في وضح النهار على أحد المقاهي، والأحرى بك أن تخشى خيانة النهار على أن تخشى صراحة الظلام، وما أقسى الخوف من المجهول، وما الخوف إلا مجهولا خف وطأته كثيرا عند وقوع مسبباته، وربما تقهر مخاوفك من شيء ما عندما تواجه حقيقته، والتي لن تكون بأي حال من الأحوال أكثر قسوة من مخاوف مريض السرطان، عليك أن تواجه الحقيقة وتحتفظ بتلك الدقائق التي مرت خوفا، فحتما ستحتاج إليها كي تفكر في الحقيقة ما بين الخوف والحقيقة تمر أسوأ اللحظات، بينما تمر أفضلها ما بين الحقيقة والحلم، علينا أن نحلم دون خوف، أو أن نبقى في براثن خوفنا دون حلم.

كتبت إيمان تلك المقدمة لمقالها الجديد "ما بين الخوف والحقيقة" والذي قررت إنهاءه في تلك الليلة حيث خلت إلى نفسها في غرفتها الصغيرة

جالسة على مكتبها في يمين الغرفة وأمامها كوبا من "النسكافيه" وقد قاربت الساعة على السادسة صباحا وبدأت تتثاءب وقد تمكن النعاس منها، إلا أنها ترفضه وتعانده، فلديها موعد في تمام التاسعة في مقر الجريدة التي تعمل بها كصحفية تحت التمرين، وقد وعدها رئيس التحرير بنشر مقالها الأول في صدر الجريدة بعد أن أجرى لها العديد من الاختبارات في كتابة المقالات، وقد منحها تلك الفرصة بعد أن أمطرها بوابل من الثناء والتقدير على حسن كتابتها وسلاسة أسلوبها وقدرتها البديعة على التصوير والتعبير.

تزداد رغبتها في النوم فتقوم من جلستها متوجهة إلى نافذة الغرفة محلقة بعينيها إلى السماء الصافية وانشقاقها عن ضوء الشمس الدافئ وبين يديها كوبها تشرب منه في تمعن ويزور خالد خاطرها فتتساءل في حزن "ترى ماذا أصابه؟ " وكيف حاله الآن بعد أن فشلت كل محاولاتها في الاطمئنان عليه؟

وهنا تتذكر حمزة الذي لم ينبئها بأي جديد عن خالد منذ مساء الأمس، فتنظر في ساعة يدها وقد قررت عدم الاتصال بحمزة الآن فلعله نائما، وربما تتصل به عند وصولها إلى مقر الجريدة، أو ربما يتصل هو بها.

* * *

الثامنة والنصف صباحا وقد بدا المشهد دراميا في صالة المنزل، فقد نامت ليلى جالسة على الكنبة، ومازال خالد نائما على ساقيها مستغرقا دون حركة، بينما جلس سعيد يقرأ القرآن، وهنا يطرق أحدهم الباب بطرقات خفيفة وكأنه يخشى إرهاب أهل المنزل بطرقاته، فيلتفت سعيد إلى صوت الطرقات ثم يلتفت إلى ليلى وخالد محدثا ليلى بهدوء:

- يا أم خالد. اصحي يا أم خالد، الظاهر الدكتور جه، البسي طرحتك حتى وخليكي قاعدة زي ما انتي.

تستيقظ ليلى وقد آلمها النوم جلوسا وقد شعرت بتنميلة في ساقيها من مكوث رأس خالد عليها لفترة طويلة، ثم تنظر إلى سعيد

- صباح الخير يا أبو خالد .

وتتناول الطرحة من يد سعيد والذي قد أحضرها لها

- افتح يا أبو خالد. افتح.

يتوجه سعيد إلى الباب ويفتحه بهدوء فإذا بحمزة يقف أمام الباب في أدب

- صباح الخير يا عم سعيد، أنا قلقتكوا ولا إيه؟

- أهلا يابني. تعالى، هتفضل واقف ع الباب!

يدخل حمزة في حذر بعد أن كان على وشك الانسحاب خجلا حيث رأي ليلى تجلس أمامه ولكن سعيد يمسك به من ذراعه ويجذبه إلى داخل المنزل.

- صباح الخير يا أمي، معلش أزعجتكوا، إيه ده؟ هو خالد ماله! هو نايم كده ليه !

- اقعد يابني، اقعد. متقلقش، هو نايم كده من خمس ساعات تقريبا، وماصدقنا ربنا هداه، مرضيناش نصحيه.

- ازيك يا حبيبي، تشرب شاي؟ (قالتها وهي تحاول رفع رأس خالد) أقولك.. نفطر سوا وبعدين نشرب الشاي على ما ييجي الدكتور .

يبتسم حمزة في خجل

- ربنا يخليكي يا أمي، ماتتعبيش نفسك، المهم نطمن على خالد .

ينتبه خالد ليد أمه التي حاولت رفع رأسه الثقيل دون جدوى ويتحرك يمينا ويسارا، ويرتكز برأسه على ساقها من جديد وقد أمسك بيديها بقوة وابتسم ويبدو أنه مازال نائما، أو أنه ما بين النوم واليقظة.

- سيبيه نايم يا أمي، أنا هعملكوا الشاي .

يتحرك حمزة في اتجاه المطبخ في حين يرن هاتف سعيد وقد جاءه اتصال كُتِب على شاشته "دكتور عادل" ..فَيَهِمُّ سعيد بالرد سريعا

- آلو. صباح يا خير يا دكتور.

يستمر سعيد في مكالمته وهو يروي لعادل ما حدث عند الفجر بينما تتابعه ليلى باهتمام وهي تربت على رأس خالد بحنان ورقة

- بس يا دكتور. و من ساعتها وهو نايم مكانه لحد دلوقتي ومش عايزين نصحيه، بس كان بيبصلي بصات غريبة زي ما يكون مش عارفني أو

خايف مني! (ينصت لثوان ثم يجيب) تمام. في انتظارك يا دكتور إن شاء الله. بالسلامة. مع ألف سلامة.

يدخل سعيد إلى غرفته وقد قرر إعطاء جسده قسطا من الراحة لحين وصول عادل بعد أن قضى معظم ليلته جالسا على كرسيه وقد آلمه ظهره بينما يأتي صوت حمزة من داخل المطبخ متسائلا وقد مر صوته إلى صالة المنزل في صخب

- أمال فين السكر يا أمي؟

- متعملش حسابي يا حمزة. أنا هريح ع السرير شوية.

يستيقظ خالد وقد تسلل إلى أذنه صوت حمزة بقوة إفاقته من نومه العميق بشكل مفاجئ وقد أصابه صوت حمزة بحالة ذعر خفيفة جعلته يستفيق مرتبكا يتلفت يمينا ويسارا محدثا ليلى

- إيه ده. أنا فين؟ اللي أنا سمعته ده حقيقي؟ ده صوت حمزة؟! ده صوت حمزة. صح؟!

يعتدل في جلسته على الأرض وقد رفع رأسه مستقبلا وجه ليلى المبتسم

- صباح الفل يا حبيبي. آه يا حبيبي. ده أخوك حمزة في المطبخ بيعمل الشاي.

يهرع خالد إلى المطبخ في شغف شديد، فقد وجد ضالته، إنه حمزة صديقه، وأخيرا سوف يلقاه بعد طول غياب.

يدخل إلى المطبخ بينما تستمع ليلى لحوارهما من صالة المنزل وهي تحاول تخفيف آلام ساقيها المنهكتين من ليلة مرهقة

- حمزة! يابن اللذينا. مش مصدق إننا اتقابلنا.

- (يستقبل حمزة كلمات خالد في اندهاش ويحدثه متلعثما) مش مصدق إيه يا حبيبي؟! قول تاني كده وسمعني.

- بالحضن يا واطي (يضمه خالد بقوة إلى صدره في لهفة واشتياق ومازال حمزة مندهشا)

- أنا اللي واطي ولا أنت اللي عقلك فوّت؟

تبتسم ليلى للقائهما، بينما خالد وحمزة في عناق طويل تتخلله جمل قصيرة لا تستطيع ليلى فهمها، إلى أن يصلها صوت بكاء خالد وحمزة والذي يتطور إلى صوت أنين وبكاء شديدين يتفوق فيهما صوت حمزة على خالد حتى يخرجا سويا من المطبخ وقد أمسك خالد بيد حمزة وأخذه إلى غرفته ودخلا سويا وأغلق خالد باب الغرفة بعد أن أخبر ليلى بحاجته للانفراد بحمزة إذ لديهما الكثير ليقولانه سويا.

- بعد إذنك يا أمي تجيبيلنا الشاي جوه.

- شاي إيه بقى.. دي عايزة شربات (قالها حمزة بخفته المعهودة وقد ضرب خالد على كتفه محتفلا)

تبتسم ليلى وقد انشرح صدرها وقلبها لروعة لقائهما وقامت من مجلسها متحمسةً

- من عينيا يا نور عينيا.. ربنا ما يفرقكو تاني أبدا.

* * *

في مقر الجريدة وأمام مكتب ممدوح الصاوي رئيس التحرير وقفت إيمان

- صباح الخير يا عم ناصر، إيه الأخبار.. الأستاذ ممدوح وصل؟

- صباح الفل يا ست البنات.. موجود يا بنتي بس معاه ناس لسه مدخلهم القهوة حالا.

- يووووه.. أنا دايما حظي كده. (تفكر إيمان قليلا ثم تبتهج وكأنها قد وجدت ضالتها) بص يا عم ناصر..

تُخرج إيمان ورقة مالية تخفيها بين يديها ثم تضعها في يد عم ناصر ساعي المكتب وتحدثه بصوت منخفض:

- والنبي أول ما يفضى تبعتلي أو حتى كلمني في مكتب التحرير.. أنا قاعدة مع سناء.. معادي معاه الساعة تسعة ولو فضلت كده رايحة جاية مش هقابله ولا بعد سنة.. والبت السكرتيرة دي دمها تقيل على قلبي ومش طايقاني مش فاهمة ليه.. خلاص يا عم ناصر؟ أوعى تنسى أبوس إيدك.. (تُطبق كلتا يديها معا وكأنها تؤدي تحية يابانية وتغمض عينيها في توسل شديد) مستقبلي الصحفي كله في إيدك يا عم ناصر.

يبتسم إليها ناصر ذلك الرجل الخمسيني صاحب الشعر الأبيض وقد بلغت سعادته مداها بتلك الورقة المالية التي أخفاها بسرعة في جيب سترته

- من عينيا يا ست البنات.. أول ما يبقى لوحدو هجيلك بنفسي.

تلتفت إيمان لناصر بشكل مفاجئ بعد أن كانت قد قررت الذهاب إلى مكتب التحرير

- لأ.. ماتجيش أبوس رجلك.. كلمني من التليفون بتاع البوفيه، دا أنت على ما تجيلي يكون العدد بتاع بكره نزل في السوق واتباع وجالنا المرتجع كمان.

يضحك ناصر لإيمان ضحكة خجولة

- ماشي يابنتي.. بتتريقي على عمك ناصر عشان راجل عجوز؟ ماشي.

تخرج إيمان من الممر المؤدي إلى مكتب ممدوح بخفة تاركةً ناصر يتابعها وقد أرسلت له ابتسامة حب واستعطاف وتبعتها بضحكة رقيقة وهي تقول:

- أنا أقدر؟ دا أنت حبيبي يا عم ناصر.

- (يحاول ناصر الاطمئنان من إيمان متسائلا) مفيش أخبار يا بنتي؟

تختفي إيمان من الممر بعد أن انعطفت يمينا في اتجاه غرفة التحرير وما زال صوتها يملأ المكان

- هبقى احكيلك.

في غرفة كبيرة المساحة ممتلئة بأشخاص عدة ومكاتب متفرقة وأصوات أجراس الهواتف تملأ المكان متتابعةً واحدا تلو الآخر وأشخاص يخرجون منها وآخرون يدخلون في رتم سريع أشبة بخلية نحل عشوائية النظام تدخل

إيمان وتلقي السلام هنا وهناك، فمنهم من يرد السلام ومنهم من يبتسم لها، وأخرى تشير إليها إشارة تخبرها أنها في انتظارها. وهكذا تمر الدقائق في تلك الغرفة التي قد تدخل فيها ثم لا تستطيع الخروج بعد أن تضيع في متاهتها. إنها غرفة أشبه بميدان كل مداخله ومخارجه متشابهة، فلست تدري من أين دخلت ولا كيف ستخرج، ولكن إيمان تحفظها عن ظهر قلب، فقد قضت فيها عاما كاملا منذ دخول خالد إلى المعتقل بعد أن قبلتها إدارة التحرير كصحفية تحت التمرين، فحلم إيمان هو الصحافة.. وها هو يتحقق وربما اليوم تحديدا بعد أن يوافق رئيس التحرير على مقالها.

تتجه إيمان إلى قسم التدقيق اللغوي حيث تجلس سناء وزملائها في القسم، وسناء هي صديقة إيمان الجديدة واللتان قد جمعتهما صداقة الجريدة والصحافة منذ ما يقرب من ستة أشهر.

سناء فتاة ممشوقة القوام ورقيقة، ليست جميلة، إلا أن ما تمتلكه من روح الفكاهة والخفة تضفي على وجهها جمالا بمقاييس جديدة ومختلفة، تربت إيمان على كتفها فتنتبه سناء لوجودها فتنظر إليها بابتسامة رقيقة وتداعبها

- استني استني كده. إيه؟ (تنظر إلى سقف الغرفة وقد ألصقت سبابتها اليمنى برأسها وهي تحاول تذكر شيء ما) أيون. "ما بين الخوف والحقيقة تمر أسوأ اللحظات، بينما تمر أفضل اللحظات بين الحقيقة والحلم" أوباااا بقى، إيه الكلام الكبير ده يا أستاذة؟

تبتسم إيمان وتسحب أحد الكراسي جالسة بجوار سناء، وبثقة وسخرية تحدثها وتؤكد على بعض الكلمات بالتشديد على حروفها

- "بينما تمر أفضلها ما بين الحقيقة والحلم " أمال تدقيق لغوي إيه بقى؟!

تشعر سناء بخيبة أمل وحسرة مرددةً وهي تجذ على أسنانها وتخرج كلماتها بثقل

- "أفضلها" ماشي ياستي. ما غلطناش في البخاري، وبعدين إيه علاقة ده بالتدقيق اللغوي؟ ملحقتش احفظ الجملة، عديها بقى.

- لا يا هانم، احفظي الكلام كويس، دي بكرة هتبقى أقوال مأثورة. (تبتسم باعتزاز) للكاتبة " إيمان التهامي"

تنظر سناء إلى بعض الأوراق أمامها وتقلبها وكأنها تبحث عن شيء ما وهي تحدث إيمان بسخرية

- براحه علينا يا عم مش كده. مش لما يتنشر الأول؟ !

ترفع إيمان يديها إلى السماء وهي مغمضة العينين وبلهفة وشوق شديدين تردد

- من بقك لباب السما قادر يا كريم.. هيتنشر إن شاء الله. ياااااااارب.

تباغتها سناء بسؤال مفاجئ وقد بدت عليها علامات القلق

- أخبار خالد ايه؟

تنظر إيمان في عيني سناء بحزن وقد تمكن منها الشوق ولمعت عيناها وانقبضت شفاهها وتجعدت جبهتها راسمة وجه الغموض:

- نفسي اطمن عليه.

* * *

طرقات عنيفة متتالية على باب المنزل في تمام الثالثة صباحا يقشعر لها بدن خالد الجالس في غرفته يتأمل ضوء القمر وبين يديه جيتاره وأصابعه تداعب الأوتار في لحن رومانسي يمزقه صخب الطرقات وتضيع ملامحه فيتحول إلى لحن مرير ينصهر بإيقاع قاس فتكتمل الأوركسترا ما بين أوتار رقيقة وإيقاع ثقيل ليشهد خالد لحظات خوف ورعب تحول لحنه الرومانسي إلى سيمفونية "ضربات القدر" فتزداد ضربات قلبه تزامنا مع ضربات الأيدي الخشنة على باب كاد أن يتهشم ألما، فيلقي بالجيتار ويهرع إلى سريره منكمشا، بينما ينصت إلى أصوات تحركات عشوائية في صالة المنزل، فقد هرع أبواه إليها يتحدثان بقلق.

- يا ساتر يارب. خير اللهم اجعله خير.

- استر يارب.. أيوه مين ؟

يأتيه صوت جهوري من خلف الباب

- افتح وإلا هنكسر الباب.. افتح

يتحرك سعيد في اتجاه الباب وخطواته المترددة تعانده وقد اعتراه خوف شديد.. فذلك هو صوت زوار الفجر، وما أسوأها من زيارة، ثم يفتح الباب

ويعود إلى الوراء خطوتين من هول المنظر، هناك عدد كبير من العساكر والأسلحة المُشهرة في وجهه. يندفعون بقوة إلى الداخل منتشرين في كل مكان بينما يقف كبيرهم وسط المنزل متحدثا بعجرفة

- ابنك خالد فين؟
- (مشيرا بيده إلى غرفة خالد) جوه يابني.خير. هو عمل إيه؟

يتجاهل الضابط كلمات سعيد ويحدث عساكره بحزم شديد

- هاتوه.

يتحرك اثنين من العساكر إلى غرفة خالد ويقتحماها بعنف، وتسمع أصوات متداخلة ما بين رفض خالد للذهاب معهم وإصرارهما على إخراجه من الغرفة حتى يخرجان وبين يديهما خالد وقد أمسكا به من كلتا ذراعيه ووضعا قناعا أسودا يغطي رأسه بالكامل، ويأتي ثالث فيضع الأساور الحديدية في يديه، بينما يتحرك الضابط إلى خارج المنزل بسرعة محدثا سعيد وليلى :

- محدش يتحرك من مكانه.. مش عايز شوشرة أحسنلكم.

يتحرك الجميع إلى خارج المنزل يتوسطهم خالد المكبل وقد ساد الظلام الدامس أمام عينيه ويغلقون الباب من خلفهم تاركين سعيد الذي امتلأت عيناه بالدموع وأخذ يتمتم بكلمات غير واضحة يشوبها اليأس والأسى، بينما صوت نحيب ليلى يملأ المكان، ثم تسقط أرضا مغشيا عليها فيجري إليها سعيد محاولا اللحاق بها دون جدوى، لقد فقدت الوعي تماما.

نظر العسكري عماد إلى زميله ياسر بائسا، ثم بدأ يومئ بوجهه مشيرا إلى خالد المكبل بالقيود والقناع الأسود وكأنما يحاول إخبار زميله بشئ ما دون أن يلفت الانتباه إليه، فهناك العديد من العساكر يجلسون داخل سيارة الشرطة المصفحة والتي تقل خالد إلى مكان غير معلوم، حيث بدا خالد منكسرا مستسلما تماما دون حركة وقد وضع رأسه بين قدميه مجبرا وقد تناوب العساكر عليه ضربا على وجهه وساقيه بالهراوات، ويبدو أن عماد قد تعاطف معه وهو الذي قد كبّله بالأساور الحديدية "الكلابشات" تنفيذا للأوامر. وهنا ينتبه ياسر لإشاراته فينظر إلى خالد ثم يعود بالنظر إلى عماد ساخرا

- مالك يابني؟ في إيه؟ صعبان عليك؟!

يرتبك عماد بعد أن افتضح أمره بين العساكر فيحاول تدارك الموقف وقد ارتسمت على وجهه ملامح اللوم والعتاب

- مين ده اللي صعبان عليّا؟! ياكش يولع بجاز. أنا بس خايف يكون قطع النفس ويروح فيها

- هما دول بيحسوا.. دول جبلات .

قال جملته وهو يرفع يديه وينهال بها على وجه خالد بقسوة فيصيبه إصابة تطيح به في أرضية السيارة منكبا على وجهه بينما ينفجر العساكر ضحكا وسخرية، وهنا يشعر عماد بالتعاطف الشديد مع خالد وينهض من جلسته محاولا مساعدته في الجلوس من جديد، ثم ينتبه لنظرات العساكر

إليه وتَعجّبهم من تصرفه فيجذب خالد بقوة إلى مقعده صارخا مدعيا القسوة

- اترزع هنا. أنت لسه شفت حاجة، دا أنت هتتنفخ.

ويربت على كتف خالد خلسة، وهنا يشعر خالد بشيء غريب، فهناك من يرأف بحاله، فقد دار حوار إنساني بين يد عماد وكتف خالد فهمه خالد وشعر به بقوة، فكانت يد عماد تواسي كتفه وجسده بينما يشكو جسده ظلمة الظلم والطغيان، وكان لذلك الحوار أثر كبير في نفس خالد الذي شعر ببارقة أمل لم يكن ليتوقعها في ذلك المكان وبين هؤلاء المغيبين فابتسم خالد تحت قناعه الكاحل وقال في ود وحزن:

- متشكرين يا رجالة على المقابلة الحلوة دي.. اتبسطوا واتكيفتوا؟ شوفولنا سيجارة بقى الله يباركلوا.

ثم تعمد خالد توجيه كلماته لصاحب اليد الحنونة ذلك قائلا

- داحنا بقينا عِشرة خلاص، ربنا يخليكي لينا يا حكومة .

شعر عماد بكلمات خالد وكأن حوارا خفيا يدور بينهما لا يفهمه من سواهما، فابتسم وحاول تأكيد رسالته لخالد بذكاء

- ولسه العشرة هتطول يا حيلتها بس لما ترجعلها ابقى افتكرنا، ده لو شفتها تاني. مد إيديك إلهي تتقطع.

قالها وقد أخرج سيجاره من علبته ومد بها يده إلى خالد، وهنا نظر ياسر إلى عماد في قلق وأخذ يحذره من ذلك التصرف الأحمق

- أنت ياد عايز تودينا في داهية؟! الباشا لو شافك هيعلقك.

فضحك خالد بصوت عال وهو يمد يده في الهواء :

- يعني أنا هتنفخ وأنت هتتعلق؟ تبدل يا دفعة؟ !

ضحك عماد ساخرا وهو ينظر إلى ياسر محاولا إسكاته أو إخفاض صوته حتى لا يستمع الضابط إلى حوارهما

- استنى أنت بس يا عم ياسر، خد يا حزين ولع، أنت متعرفش إنك هتتنفخ وأنت متعلق يا روح أمك؟ ولع ولع، أنت صعبان عليا عاللي هتشوفو، خد يمكن تكون آخر سيجارة .

يلتقط خالد سجارته بعد أن أمسك عماد بيديه ووضعها فيها قائلا بنبرة يأس

- هي شكلها كده آخر حاجة في كل حاجة، آخر سيجارة، وآخر مرارة، وآخر أمل، ويمكن آخر نفس طول ما هما بيقولوا وأنتو بتنفذوا واحنا بنموت! (يصمت لبرهة) تعرف يا دفعة.. كلنا هنموت، احنا وانتوا وهما، بس الفرق إن هما هيموتوا كفرة وانتوا هتموتوا جهلة، واحنا هنموت فطيس. (ساخرا) هي السيجارة دي مش هتولع ولا إيه؟!

تقف السيارة بشكل مفاجئ أمام مبنى أمن الدولة ويخرج منها الجميع ومازال خالد يتوسطهم وبين أصبعيه سيجارته العذراء، ويتحرك الجميع بسرعة إلى داخل المبنى ويتقدمهم الضابط حتى يمرون بممر سفلي طويل يأخذهم إلى غرفة حجز مظلمة في نهاية الممر يفتحها أحدهم ويدفع خالد

دفعة قوية ترميه بعيدا داخل الغرفة، ثم يغلق بابها على خالد الذي ارتطم بحائط الغرفة ثم سقط أرضا وقد انفجرت سيجارته بين يديه وإذا بالمياه تجتاح ملابسه وصوت الفئران من حوله يثورون غضبا من ذلك الضيف المزعج الذي بدأ زيارته بصخب شديد، بينما يسلك الضابط المسار الأيمن ليدخل إلى مكتبه، وتمر إلى أذن خالد أصوات السلاسل الحديدية تحتضن باب الغرفة وتحكم إغلاقه، ثم صوت ارتطام المزلاج، ويليه صوت أقفال حديدية تسكن بيوتها فيشهدون جميعا قسوة محبسه وظلمته.

* * *

الفَصْلُ الرَّابِعُ

الخيانة

- وأنا بقى مش فاهم إيه اللي بيحصل، وكل ما أنام وأقوم ألاقيه قدامي!

يتعجب حمزة من حديث خالد الذي روى له تفاصيل ما يحدث معه منذ الليلة الماضية، ثم يلتقط سيجارة من علبته ويشعلها وينفث دخانها محاولا تفهم ما يقوله خالد.

- الدكتور قاللي إنك بتمر بحالة صعبة نتيجة للكام الشهر اللي فاتوا، وحسب كلام أبوك معاه أنت محتاج دكتور نفساني عشان عندك وعكة مأثرة على أعصابك، وقاللي كمان إنك (يتلعثم قليلا) إنك...

يقاطعه خالد في قلق ولهفة شديدين:

- إني إيه يابني؟ ما تنطق!

يجيبه حمزة بسرعة شديدة قبل أن يقرر الاحتفاظ بهذا السر طويلا

- إنك عندك حالة صرع وبتجيلك نوبات كده بتكسر وتخبط في أي حد قدامك، وفي الآخر بيغمى عليك.

يزداد غضب خالد وقد أثارته كلمات حمزة فيقف من مجلسه وقد جن جنونه واحتدت نبرته:

- صرع؟ يعني إيه؟! وإيه حكاية الدكتور النفساني دي كمان؟! أنا اتجننت خلاص؟ مش فاهم حاجة. اتكلم يابني.

يتردد حمزة في الإجابة على أسئلة خالد، وكعادته لا يخفي سرا أكثر من ذلك فيحدث خالد بيأس شديد وقد لمعت عيناه

- أنت مش مظبوط يا خالد، وأنا خايف عليك أوي.

تطرق ليلى باب الغرفة وبين يديها صينية الشاي، ثم تدخل لتضعها على مكتب خالد في حين يستقر نظريهما عليها أثناء دخولها، فيشكرها حمزة متلهفا لكوب الشاي:

- تسلم إيديكي يا أمي، ربنا ما يحرمناش من الكوبايتين دول.

- تسلم يا حبيبي، بالهنا والشفا. أعملكو بقى لقمة كده يمكن تفتح نفس خالد وتاكلو سوا؟

قالت جملتها وتحركت إلى الباب من جديد مغادرة الغرفة، فيعودان لحوارهما ويتساءل خالد:

- وقالك إيه تاني؟

ينهض حمزة من مجلسه في اتجاه المكتب ليتناول كوب الشاي ويرشف منه رشفته الأولى ثم يعود فيجلس مناولا خالد كوبه

- هو مين؟

- الدكتور يا حمزة. الدكتور قالك إيه؟!

- هو ده كل اللي قاله والله.

يشعل خالد سيجارة وينفث منها العديد من الأنفاس المتتالية التي يتخللها بعض الشاي متسائلا:

- إيمان عاملة إيه؟

ينتبه حمزة لسؤال خالد فيضع كوبه على المكتب بسرعة ويخرج هاتفه المحمول باحثا عن رقم إيمان وهو يجيب خالد:

- أووووووف! نسيت اطمنها، دي هتجنن عشان تطمن عليك، استنى أما أطلبها.

ينقضّ خالد على يد حمزة ويخطف الهاتف من بين يديه.

- لأ، متكلمهاش. أنا بسألك هي عاملة إيه.

يتعجب حمزة من تصرف خالد

- بقولك هتجنن عليك، مش عايزني أكلمها ليه؟

يلقي خالد بهاتف حمزة جانبا محدثا إياه بنبرة حزن:

- هنكلمها بس مش دلوقت، ولو كلّمتك قل لها إني نايم أو إنك متعرفش عني حاجة، أنا مش حابب تشوفني كده.

يبتسم حمزة بهدوء وتعجب

- تشوفك كده؟! كده إيه. ما أنت زي الفل أهو!

ينظر خالد في عيني حمزة وقد اعتراه شعور بالخوف والتوتر

- لأ يا حمزة. أنا مش مظبوط زي ما الدكتور قال، أنا عايز أقابل الدكتور ده.

في هذه الأثناء يصل الطبيب عادل إلى منزل سعيد ويدق الباب فيفتح له سعيد مرحبا

- اتفضل يا دكتور.

- السلام عليكم. إيه الأخبار؟

يدخل عادل إلى صالة المنزل ويدعوه سعيد للجلوس

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. الحمد لله، اتفضل يا دكتور ارتاح من السلم. نشرب شاي؟ ولا أقولك.. نفطر الأول، تلاقيك مفطرتش.

يجلس عادل مشيرا بيديه بالرفض:

- لأ.. نفطر إيه وشاي إيه! يا دوب نطمن على خالد عشان ألحق المستشفى، طمني، في جديد؟

يجلس سعيد إلى جوار عادل ويسرد له ما حدث فجرا ويخبره بأن خالد بخير وهو يجلس مع صديقه في غرفته ويحدثه عن ذلك الشعور الغريب الذي ينتاب خالد أحيانا، وأنه يصاب ببعض التوتر والقلق عند رؤيته له :

- وفضل نايم يا دكتور على رجل أمه لحد ما جه صاحبه.

- مش صاحبه ده اللي.

يقاطعه سعيد :

- أيوه هو حمزة.. تصور يا دكتور هو هو نفس البني آدم، بس الحال اتغير، سبحان الله!

يعتدل عادل في جلسته ويدقق النظر في سعيد

- طب احكيلي بالتفصيل اللي حصل وركز أوي في التفاصيل.

- لأ أنا اندهلك الحاجّة بقى عشان هي اللي هكيتلي، أنا أصلي كنت مريح جوّه وسبتهم في الصالة. (يلتفت في اتجاه المطبخ مناديا ليلى) يا حاجة، يا حاجة، تعالي.

تخرج ليلى من المطبخ وقد كانت تعد الإفطار وكانت كذلك تنصت لحديثهما

- صباح الخير يا دكتور. (تنصهر في الحوار سريعا) أنا بصراحة يا دكتور كنت مستغربة ومش فاهمة حاجة، هو حمزة كان في المطبخ بيعمل شاي وندهلي من جوه بيقولي هو فين السكر، لقيت خالد صحي من النوم وركز في الصوت وقاللي ده حمزة اللي جوّه. ودخل المطبخ جري وأنا قلبي اتقبض، لكن سبحان الله لقيتهم بيسلموا على بعض وبيحضنوا بعض وهاتك يا ضحك هما الاتنين، وراح خالد واخده ودخلوا الأوضة، ومن ساعتها مخرجوش، بس أنا وقفت جنب الباب وسمعتهم من شوية كده بيتكلموا بس مفسرتش الكلام، أنا قلت اطمن، أصلي بصراحة قلقت.

يومئ عادل برأسه عدة مرات ويتابع ليلى قائلا:

- طيب ركزي معايا يا حاجة، هو حمزة مقالّوش حاجة أول ما دخل عليه المطبخ؟!

تلوح ليلى بيديها مؤكدةً:

- لأ. خالص، بس الله أعلم بقى لما دخلوا الأوضة قالله إيه. بس أنا قلت له ميجيبلوش سيرة، بس مقلتولوش صراحةً يعني.. أنا لما دخلت اديهم

الشاي شاورتله كده وهو فهمني على طول وهزلي راسه كده، أنا متأكده إنه كان فاهمني.

يتكئ عادل على كرسيه محدثا سعيد:

- هتفضل الحالة ميهمة كده فترة، بس زي ما قلتلك هنحتاج طبيب نفسي، ويمكن.. يمكن تكون حالة عارضة، وده اللي بنتمناه.

- يارب يا دكتور.. يارب.

يقف عادل من مجلسه:

- طيب نشوف خالد ولا إيه؟

يقف سعيد مومئا بالموافقة.

- أكيد يا دكتور، لحظة واحدة أبلغه بس.

هنا تقف ليلى مقاطعةً سعيد وقد مدت يدها لتوقفه

- استنى أنت يا أبو خالد خليني أدخله أنا.

تطرق ليلى باب غرفة خالد طرقتان ثم تفتح الباب محدثةً خالد وحمزة وهما يقفان أمام النافذة، فيستديران لليلى.

- يا ولاد.. معلش هقطع قعدتكو الحلوة دي، الدكتور بره وعايز يشوفك يا خالد.

ينظر خالد إلى حمزة ويهمس له:

- هو ده؟

يومئ حمزة لخالد مؤكدا إجابته بهمس أيضا

- أعتقد آه هوّ.

ينظر خالد لأمه مبتسما.

- خليه يتفضل يا ماما.

تنظر ليلى إلى صالة المنزل محدثة سعيد:

- خلي الدكتور يتفضل يا أبو خالد، اتفضل يا دكتور. اتفضل.

يدخل عادل وسعيد إلى الغرفة بينما يترقب خالد ذلك الطبيب الذي قال عنه أنه قد يكون مريضا نفسيا، وعندها يصاب خالد بحالة ارتعاش شديدة وتبدأ عيناه في الاحمرار بشكل مفاجئ وهو يرى أمامه وجها سعيد وعادل يقتربان منه، وتزداد حالة عدم الاتزان، وترتعش جميع أركانه وقد رأى الوجوه أمامه تهتز وتكبر وتصغر وتقترب منه وتبعد عنه بشكل متتالٍ وكأنه أمام مرآة سحرية تغير في أشكال وأحجام الأشخاص، وتنتابه حالة من الغثيان الشديد حتى تصبح الرؤية ضبابية أمامه ويفقد السيطرة على جسده وأعصابه ويسقط أرضا فيهرع إليه الجميع في حين يحاول حمزة

. وهو الأقرب إليه . للسيطرة عليه قبل السقوط دون جدوى.. فقد أصبح جسدة ثقيلا جدا لا يقدر حمزة على حمله أو حتى مساعدته.

يسقط خالد بكامل جسده على الأرض مغشيا عليه، ويشترك جميعهم سعيد وعادل وحمزة في حمله ووضعه على السرير وقد أصابته حالة من الهذيان فكان يردد بعض الكلمات التي تصحبها بعض الهمهمات:

- كل.. كلكوا.. كلكو.. زي بعض.. كلكو .

يفتح عادل حقيبته ويخرج منها أنبوبة حقن وضماد ويسرع في إنهاء الأمر وحقن خالد بمهدئ قد يهدئ من حالته، ويساعده حمزة في رفع ذراعه بينما ما يزال يهذي بنفس الكلمات بشكل متقطع إلى أن بدأ يهدأ تدريجيا، وبيقين يتحدث الطبيب:

- دلوقتي هيهدا وينام. متقلقوش.

تلتقي أعين حمزة وعادل ويطول اللقاء ويدور الحوار الخفي بين العيون التي يملؤها القلق والغموض، ثم ينتقل عادل بنظره إلى سعيد في حميمية :

- مابدهاش.. هننقله المستشفى النهاردة يا حاج سعيد.. لازم يبقى تحت الملاحظة .

- اللي تشوفو يا دكتور.

يجمع عادل أدواته ويغلق حقيبته ويهم بالخروج محدثا سعيد :

- في حاجة أنا مش فاهمها، هناك ممكن نفهمها إن شاء الله. هبعتلك عربية الإسعاف وهستناك في المستشفى، السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. لطفك يارب.

* * *

في أحد ممرات المستشفى الحكومي يلتقي عادل بصديقه مصطفى الذي بدت عليه العجلة وهو يرتدي معطفه الطبي وبين يديه حقيبته فينظر إلى عادل المنهمك في هاتفه المحمول فيوقفه بشكل مفاجئ:

- دكتور عادل .. عاش من شافك.

ينتبه عادل إلى صديقه فيلقي بهاتفه في جيب معطفه ويبتسم

- أهلا درش.. متشوفش وحش، لو عايز تشوفني كنت سألت .

يتعانقان برتم سريع ويتصافحان ثم يتجاذبان أطراف حوار سريع

- طب بذمتك أسأل عليك فين وازاي وأنت محدش عارفلك رقم؟!

يضحك عادل ويضرب بيديه على رأسه.

أوباااا ..تصدق نسيت اديك الرقم الجديد! بس أنا كلمتك منه امبارح وأنت مردتش... دنا كنت محتاجلك في موضوع كده.

يشير مصطفى بيديه إلى أحدهم في نهاية الممر ثم يحدث عادل في عجالة

- خلاص يبقى لينا قعدة..كلمني بالليل. وممكن نتقابل في الكافيه. مضطر اسيبك عشان عندي مشوار مهم والناس في انتظاري.

- أوك.. حكلمك .

يتحرك مصطفى في اتجاه باب المستشفى الرئيسي بينما تأتيه مكالمة على هاتفه فينظر إلى شاشته ويستقبل المكالمة ثم ينظر إلى عادل

- هستناك.. (يعود لمكالمته) آلو.. أيوه خلاص أهو .. دقايق وهكون عندك .

تصل سيارة الإسعاف إلى منزل سعيد لتقل خالد إلى المستشفى وصوت صافرتها يملأ الشارع وقد التف حولها أهل المنطقة كعادتهم عندما يكون

هناك أمر جلل يضرب الحي، والجميع يتساءل عن سبب وجودها وقد وقف الشيخ جمال الراوي أمام المسجد والحاج عبد الله صاحب متجر البقالة المواجه لمنزل سعيد يتبادلان الحوار وقد أدركا أن الأمر يتعلق بخالد بعد أن شاهدا تحرك رجال الإسعاف إلى مدخل بيت الحاج سعيد حاملين سرير الإسعاف.

- لا حول ولاقوة إلا بالله.. ربنا يلطف بينا.
- آمين يارب. (يضرب كفا بكف).

بعد دقائق معدودة يخرج رجال الإسعاف من منزل سعيد إلى سيارة الإسعاف وبين يديهم يرقد خالد على سرير الإسعاف في سكون تام ويدخلون به إلى السيارة ويصعد سعيد وحمزة إلى داخلها بجوار خالد وعينا سعيد متعلقتان بصديقه جمال الراوي وقد تبادلا النظرات في حوار ساكن وبينما يغلق باب السيارة عليهم يتحدث سعيد إلى الراوي

- ابقى هات الحاجة أم خالد وحصلني على المستشفى.
- متقلقش يا أبو خالد.. وراك على طول.

وتنطلق سيارة الإسعاف مغادرة الشارع، وينفض الزحام أمام بيت سعيد والأصوات تتداخل وتتلاشى شيئا فشيئا ما بين متعجب و مستغفر و داع إلى الله أن يشفي خالد مما هو فيه.

* * *

في قرية "أبو طويلة" النائية في مدينة الشيخ زويد وأمام المسجد الصغير في منتصف القرية يقف الشيخ عبادي ويلتف من حوله خمسة من رجال أهل القرية بعد انتهاء صلاة العصر وقد وقفوا يتبادلون التحية ويتجاذبون أطراف الحديث، والشيخ عبادي رجل ستيني نحاسي البشرة ذو لحية بيضاء طويلة تستقر نهايتها عند صدره وملامحه يستعمرها الشقاء والخبرة الطويلة، وفوق رأسه تستقر عمامته الكبيرة، ويرتدي عباءة سوداء فوق جلبابه الرمادي، وبين أصابعه تتحرك كرات المسبحة الخضراء دائما وأبدا.. يظهر صبي صغير يأتي من بداية الطريق المؤدي إلى المسجد راكضا مناديا الشيخ عبادي بتكرار ممل

- يا شيخ عبادي.. يا شيخ عبادي.. يا شيخ عبادي .

يلتفت الشيخ عبادي إلى صوت الصبي ويدقق النظر إليه فإذا به رزق أحد أبناء القرية وابن أحد جيران الشيخ عبادي

- خير ياد يا رزق.. في إيه؟
- في ناس عايزينك (يلتقط أنفاسه) في الدار
- طب أنا جاي وراك على طول. روّح أنت .

ينهي الشيخ عبادي حواره مع رجال القرية ويأخذ طريقه إلى بيته القريب من المسجد بينما يتفرق باقي رجال القرية كل إلى بيته ويصل الشيخ عبادي إلى بيته حيث وقف رجلان في انتظاره

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يلتفت إليه الرجلان ويردان تحيته ويحدثه أحدهما

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. مش هطول عليك كتير يا شيخ عبادي.. جمال باشا عايزك

يتعجب الشيخ عبادي لطلبهم وينظر إلى كليهما نظرة ليست بالقصيرة، ثم يومىء بالموافقة دون كلمة واحدة فيبتسم الرجل محدثا زميله

- بينا. (مرددا التحية بنفس طريقة الشيخ عبادي وكأنه يقلده أو يسخر منه) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يتحركان في اتجاه الطريق الرئيسي للقرية ويقف عبادي يتابعهم حتى ينعطفا يمينا فيغيبا عن النظر وهنا يخرج الشيخ عبادي جهاز اتصال خاص من جيب جلبابه.. ويبدو جهازا غير مألوف ثم يضغط بعض الأزرار فيطلق الجهاز صافرة يأتي بعدها صوت اتصال لا يشبه صوت الشبكات المعروف

- عربي.. عربي .

ثم يصدر الجهاز صافرة جديدة يأتي بعدها صوت من الجانب الآخر

- عربي معاك.عربي معاك.

- أول ما تغيب الشمس ألاقيك قدامي.

- أوامرك يا شيخ عبادي.

يضغط عبادي بعض الأزرار ثم يضع الجهاز في جيب جلبابه من جديد ويحدث نفسه في قلق وما زالت كرات مسبحته تداعب أصابعه

- يا ترى إيه اللي رماك علينا يا خولي ؟؟!!!

* * *

في غرفة مكتب أنيق ويبد جديدا، وكل ما فيه يبدو براقا.. تحف فنية على أرفف المكتبة بنية اللون في زاوية الغرفة، ولوحات سيريالية تغطي الحوائط، ونباتات الزينة تملأ الأركان، ومائدة مستديرة إلى يسار الغرفة غطتها أوراق كثيرة و "بروفة" العدد الجديد من الجريدة ويجلس حولها عدة أشخاص يتحاورون بصخب حول ترتيب المانشتات وحجمها وبينهم يقف الأستاذ ممدوح رئيس التحرير وقد خلع سترة بدلته وبدا أنيقا بقميصه الزهري وربطة عنقه الزرقاء وبنطاله الأسود اللامع، وبين شفتيه سيجارة ينفث دخانها فيغطي سماء الغرفة وقد استقرت عيناه على ذلك المانشيت الكبير في صدر الصفحة الأولى وقد طبع بخط نسخ أحمر داكن كبير "نقابة المحاميين تنتفض" تطرق إيمان الباب بحذر وقد وقفت خلف الباب تهذب ملبسها وتتأكد من كونها على مستوى اللقاء مع رئيس التحرير حيث قد يتحقق حلمها بنشر مقالها الأول في الجريدة، ودون أن ينظر ممدوح إلى الباب يحدث الطارق بصوت رخيم:

- أدخل.

تعتدل إيمان وتفتح باب الغرفة برقة وتدخل إليها ثم تغلق الباب بنفس الرقة وتخطو عدة خطوات في اتجاه المائدة المستديرة

- صباح الخير يا أستاذ ممدوح. (تحاول تبرير تأخرها عن الموعد) والله يا أستاذ ممدوح أنا هنا من بدري.. بس حضرتك كنت مشغول

يلتفت إليها ممدوح محدثا أحد الواقفين إلى جواره

- زوّد الـ "فونط" شوية ووريهاني تاني. صباح النور. (ينتبه إلى أنها إيمان تلك الصحفية الجديدة). أهلا إيمان. تعالي.

يتجه ممدوح إلى كرسيه ويأخذ إيمان إلى مكتبه في يمين الغرفة مشيرا إليها بالجلوس

- اقعدي يا إيمان. عاملة إيه؟

تبتسم إيمان برقة وعذوبة تخطف قلب ممدوح وقد رفعت خصلة شعرها من فوق كتفها وألقت بها خلفها

- تمام.

يعبث ممدوح ببعض الملفات فوق مكتبه حتى يمسك بملف خاص بالمقالات الأسبوعية ثم يفتحه باحثا عن مقال إيمان حتى يخرجه من بين الأوراق ويضعه أمامه مبتسما

- بصي يا ستي.. مبدئيا كده انتي (يصمت للحظات وقد استقرت عينه على المقال)

بشغف شديد تنظر إيمان إليه وبين ساقيها قد تشابكت أصابع كلتا يديها في قلق ثم تحاول إخفاء قلقها متسائلة:

- إيه؟ (تستقيم شفاها فلا تعرف إن كانت ستبتسم أم ستحزن في اللحظة التالية) وحش. صح؟!

يرفع ممدوح عينيه إلى إيمان ثم يبتسم ابتسامة تلقي بالخبر السعيد إلى إيمان

- بالعكس.. انتي هايلة، أنا متفاجئ، كأنك بتكتبي من سنين، أسلوبك هايل، موضوعك مختلف، بس..

يصمت ويطيل حرف السين في حين تتفاوت مشاعر إيمان ما بين السعادة والقلق

- مش هينفع يتنشر ؟!

يضحك ممدوح ضحكة ساخرة وهو يغلق ملف المقالات أمامه ويضع كلتا يديه على المكتب

- مالك كده..كل استنتاجاتك سلبية! مرة وحش ومرة مش هيتنشر؟! طوّلي بالك شوية. الموضوع وما فيه إننا هنعدل شوية حاجات بسيطة.

تتجهم إيمان وتعتدل في جلستها وتستقيم نظرتها أمامها بعيدا عن ممدوح وفي ثقة تتحدث:

- ممكن أعرف إيه نوع التعديلات دي؟

- (وقد أخفى عينيه من إيمان) بصي.. أنا كتبتلك كل التعديلات المطلوبة.. ياريت تقرئيها. (ويؤكد على حروفه التالية بالتشديد على كل حرف) وتعدّليها وتوريهالي تاني (يقف معتدلا عابثا في ربطة عنقه) أوكي؟ شرفتي يا إيمان.

تشعر إيمان بالحرج الشديد وتمد يديها إلى ممدوح لتأخذ مقالها وتنظر إليه في خجل وتومئ برأسها إيجابا، ثم تنسحب بهدوء حتى تخرج من المكتب وتغلق الباب من خلفها فتجد ناصر في انتظارها خلف الباب وقد بدا قلقا.. حتى يرى إيمان أمامه فينظر لها بحب وبلهفة يسألها:

- إيه الأخبار.. بشّريني.

تبتسم إيمان بخيبة أمل وهي تعض على شفتيها

- خير يا عم ناصر.. خير إن شاء الله. ادعيلي. (تؤكد على كلماتها) لأ.. ادعيلي كتيييير.

يبتسم ناصر ويبدو عليه البله فلم يفهم شيئا

- ربنا يكرمك يا بنتي ويوفقك يارب.

تمر إيمان بخطوات يائسة إلى غرفة التحرير من جديد وقد أمسكت بأوراقها خلف ظهرها.

* * *

في المقهى الحديث يجلس الطبيب عادل وصديقه الطبيب مصطفى -وهو طبيب متخصص في أمراض المخ والأعصاب- إلى منضدة في منتصف المكان وأمامهما قدحين من القهوة التركية وكوبا من الماء وبعض أوراق وضعها مصطفى أمامه، وجهاز اللاب توب الخاص به مفتوحا وهو يمر بأصابعه على لوحة المفاتيح أثناء حواره مع عادل.

- أنا أول مره اسمع عن حالة زي دي.. بس تعرف.. أنا قرأت مرة زمان عن الأمراض النفسية النادرة .. وتقريبا كان في حالة كده شبه حالة الشاب ده.

بشغف شديد يتكئ عادل على المنضدة مدققا النظر إلى مصطفى

- أيوه.. إيه هي الحالة بقى؟!

- بحاول ألاقيها أهو.. دانا حتى مش فاكر اسمها.. اسمها إيه يا درش؟ اسمها إيه يا واد يا مصطفى! مش فاكرها بنت اللذينة دي.. بس أكيد هلاقيها.. صحيح أنت إيه اللي خلاك تشك إنها حالة نفسية؟ أأقصد يعني مش يمكن حالة نفسية مؤقتة، موصلتش لمرض يعني.. أنت بتقول إنه قضى فترة في المعتقل.. وأكيد شاف أيام صعبة.. وممكن يكون عنده صدمة عصبية ودي علاجها مش صعب يعني.

يشيح عادل بيديه رافضا فكرة مصطفى

- يا مصطفى بقولك نفس البني آدم مرتين ورا بعض وردود الفعل مختلفة، وأي تفاعل بينتهي باغماء وزرقان وجسمه بيبقى زي التلج، ده غير الضغط اللي طالع نازل. يا راجل ده دخل في غيبوبة وخرج منها بعد ساعتين تقريبا ولا كأنه كان في حاجة!

يستطرد عادل بعد أن توقف عن الكلام للحظات

- أنت عارف يا مصطفى.. تقدر تسميها صدمات عصبية متتالية وكلها مرتبطة بسبب واحد.. بس مجهول للأسف .

ينتبه مصطفى لحديث عادل ويتوقف عن عمليات البحث على حاسوبه، ثم يرفع قدح القهوة إلى فمه ويجهز عليه تماما ويعيده مكانه على المنضدة.. يشعل سيجارة وقد انطلقت عيناه في عنان الفراغ المطلق لثوان..

- معقول!! (تزداد نظرته عمقا حتى أن جفنيه تجمدا)

تستقر عينا عادل على وجه مصطفى متسائلا:

- إيه! وصلت لحاجة؟

- (مصطفى بلهفة) ممكن أشوفه امتى ؟!!

* * *

الفَصْلُ الخامِسُ

الميدان

خسمة معاطف ناصعة البياض وعدة تنانير قصيرة بيضاء أيضا تحيط بسرير رقد عليه خالد في غرفته في المشفى الحكومي، أجهزة عديدة تمر أسلاكها إلى جسده، ومحاليل معلقة، وصوت جهاز متابعة القلب يملأ المكان بصافرة قصيرة رتيبة مستمرة، وشاشته تعلن عن خطوط متعرجة ترسم نبضاته بانتظام دقيق، وبعد عدة ساعات من التحاليل والاختبارت باب الغرفة مفتوح يمر إليه الدكتور عادل في خطوات سريعة يرافقه فيها صديقه الدكتور مصطفى ويصلان إلى السرير

- إيه الأخبار؟

يلتفت إليه الجميع.. ويجيبه أحد الأطباء المتواجدين:

- كله تمام.

يمد الطبيب يده إلى الممرضة وهو يحدث الدكتور عادل فتناوله بدورها تقريرا طبيا كان بين يديها، وهو تقرير يعطي صورة كاملة للدم ومكوناته ويستطرد

- الـ* (CBC) يا دكتور.. وأنا شايف إن كل شيء طبيعي، مفيش أي حاجه تقلق.

ينظر عادل إلى التقرير في عُجالة ويمر بعينيه على كل النتائج مومئا برأسه إيجابا وينظر إلى مصطفى مناولا إياه التقرير والذي يأخذه وقد استقرت عيناه على خالد

- وريني كده.. مممم. هايل، زي ما توقعت. (ينظر إلى أحد الأطباء) وإيه رأيك يا دكتور في الـ* (PT) ؟

يلتفت إليه الطبيب وبين يديه تقريرا آخر وهو تقرير التجلط.. ويجيبه بثقة وارتياح ونظره مصوب على التقرير

- تمام. مفيش مشاكل خالص.

وهنا يتدخل طبيب ثالث قد وقف إلى جوار خالد تماما وبين يديه عدة تقارير

- الـ* (CSF) يا دكتور بيأكد إن في حالة صرع، وكمان رسم المخ. محتاج رأي الدكتور مصطفى.

يتناول مصطفى الأوراق من الطبيب ويبدأ في قراءتها باهتمام بالغ وكأنما قد وجد ضالته فيها

- آها. كده احنا مسكنا الخيط. الـ (EEG) * قريب أوي من اللي بفكر فيه. جميل، جمييييل. الـ (MRI) * أخباره إيه؟*

- (تجيبه الممرضة الرئيسية لحالة خالة) في المعمل يا دكتور، أعتقد هنستلمه بالليل أو بكرة الصبح بالكتير.

* CBC فحص شامل لمكونات الدم PT فحص تخثر الدم CSF تحليل سائل النخاع الشوكي EEG فحص التخطيط الكهربائي للدماغ MRI فحص الرنين المغناطيسي

- هايل. (يلتفت مصطفى إلى عادل) بص يا دكتور عادل..

يقترب منه عادل وتستقر أعينهما على التقارير وقد خاضا في حوار طبي دقيق في عدة تفاصيل من تلك التقارير وتبدو المناقشة عميقة وفيها كثير من المصطلحات الغريبة بينما يشترك بعض الموجودين معهم في بعض النقاط وقد التف الجميع حول تلك التقارير حتى يتفق الجميع على أمر ما.. وهنا يتحدث مصطفى إلى الممرضة:

- ياخد حقنة مهدئ ولو فاق أنا في مكتبي. (ينظر إلى عادل) اتفضل معايا يا دكتور.

يخرج عادل ومصطفى من الغرفة في اتجاه مكتب مصطفى بينما يخرج بعض الأطباء من الغرفة وتتبقى الممرضات اللائي مازلن يقفن حول خالد في هدوء يراقبن الشاشات.

تلتقط إيمان هاتفها المحمول في لهفة وترفعه إلى أذنها في شغف شديد وتبدأ المكالمة بسؤال مباغت :

- حمزة. إيه الأخبار؟

يقف حمزة في ممر المشفى أمام غرفة خالد ومن حوله زحام مابين الزائرين والمترددين على الغرف، والممرضات وبعض الأطباء يتحركون هنا وهناك ويحاول الإنصات إلى إيمان في ظل ذلك الصخب من حوله.

- أيوه يا إيمان.. خالد في المستشفى و..

تقاطعه إيمان بقلق شديد وقد زادت دقات قلبها بينما تراقبها سناء

- مستشفى؟! خالد ماله يا حمزة؟ طمني !

تقف سناء في مكانها ممسكة بيد إيمان بحب وقد أثارها ما استمعته و مازال حمزة يعاني الاستماع إلى إيمان بوضوح وينكمش إلى جوار الحائط محاولا تفسير كلماتها

- بقولك في المستشفى، أنا معاه هنا، أنتي بتقولي إيه؟ مش سامعك. آلو

- مستشفى إيه؟ ها مستشفى إيه؟

- (يخبرها حمزة بمكان المشفى) عارفاها. غرفة 125

تتناول إيمان حقيبتها وأوراق مقالها في عجالة ومازال هاتفها ملتصق بأذنها وتشير إلى سناء بأنها ستحدثها هاتفيا لتطمئنها وتخرج من غرفة التحرير مسرعة في حين تحمل سناء حقيبتها وتجمع متعلقاتها هي الأخرى وقد قررت اللحاق بإيمان التي مازالت تتحدث إلى حمزة

- أنا جايالك.. هكلمك أول ما أوصل. سلام.

- استني يا بنتي أنا جايه معاكي (تنظر إلى فتاة تجلس إلى جوارها) لو حد سأل عليّا أنا مش هتأخر .

تخرج سناء خلف إيمان مسرعة وقد حملت بين يديها مفاتيح سيارتها وتحاول إيمان منعها من مرافقتها وتصر سناء على ذلك.

- رايحة فين بس، خليكي وأنا هطمنك .

- امشي بس امشي، لسه هتستني تاكسي! هنروح بعربيتي.

تخرجان معا إلى موقف السيارات وتستقلان سيارة سناء وتنطلق بهما إلى المشفى وسط زحام المدينة وصخبها.. وتحاول سناء القيادة مسرعة في حين صوت نحيب إيمان وبكائها يجوب أركان السيارة، وتتأثر سناء بصوت بكاء إيمان ودموعها فتنهمر دموعها هي الأخرى محدثة إيمان:

- متقلقيش.. إن شاء الله كل حاجة هتبقى تمام.

تلتقط إيمان منديلا ورقيا وتمسح دموعها وتبتسم ابتسامة حزن وهي تنظر في مرآة السيارة أمامها وقد بدت أشبه بمن فقد صوابه.

- أنا مش هعيط.. مش هعيط خالص، خالد هيبقى كويس، خالد كويس. صح ؟ صح يا سناء؟ أنا مش هعيط، لازم ابقى كويسة عشانه، لازم يشوفني حلوة وجميلة ورقيقة زي ما بيحب يشوفني دايما. صح يا سناء؟ شكلي حلو؟ ها؟ بصي كده، شعري حلو؟ مش كده؟ (تمر بأطراف أصابعها على عينيها وخديها) شكلي حلو. صح؟ (تبكي بحسرة وتزداد بشرتها احمرارا وتتعرق جبهتها) خالد لو جراله حاجة أنا هموت. حموت يا سناء. خالد ده كل حاجة في دنيتي وأحلى حاجة فيها. أنا من غيره ولا حاجة. (ترفع عينيها للسماء) يا رب، والنبي يارب تحفظه يا رب.

تبكي إيمان بحرقة بينما تشعل سناء سيجارتها وقد أغرقت دموعها خديها، وتهدأ إيمان قليلا وتسافر بعينيها في زجاج السيارة الأمامي الذي يتحول إلى شاشة عرض كبيرة يظهر فيها عدد من الشباب المجتمعين في صحن ميدان التحرير وقد التفوا جميعا حول شاب وسيم يتحدث بطلاقة عن بلاده وما آلت إليه الأحوال في شوارعها وينصت إليه الجميع وقد علا

صوته حتى صال وجال في أرجاء الميدان.. فازدادت الأعداد شيئا فشيئا من حوله حتى أصبحوا عشرات ومئات وربما آلاف، وكلما زادت الأعداد زادت معها نبرته الحزينة القوية المتحمسه فأخذ يتحدث عن شعب تحمل الكثير.. وظلم نال منه الكثير.. وفساد طال منه الكثير والكثير.. وأخذ يردد أسماء شخصيات عامة مشهورة هم في الأصل مسئولين و وزراء وإعلاميين كان لهم الأثر الأكبر في خراب البلاد وانتشار الفساد.. ثم أخذ يحث الجميع على الهتاف ويدعوهم للمطالبة بحقوقهم وعدم التنازل أو التخاذل، ثم أخذ يبث في قلوبهم الثقة ويقتل ما بقي فيها من خوف حتى ارتفع الهتاف إلى سماء القاهرة العظيمة "ارفع راسك فوق .. أنت مصري " وتحركت سيول البشر المجتمعة إلى خارج الدائرة الخضراء التي تتوسط الميدان.. ثم بدأت في الدوران حولها، وارتفعت أعلام مصر عاليا، والتهب الهتاف بينما يطوقه جنود الأمن المركزي من كل اتجاه ويضيق عليه الخناق، ولكن هيهات، فكم هو الفارق بين حماس الآلاف من أبناء الحق المسلوب وحماس المئات من جنود الباطل المفروض، حتى تحول التعليمات بين الهتاف واستمراره وتحرك الشباب فيرفض الجنود خروج الهتاف خارج تلك الدائرة الافتراضية التي صنعوها ويبدأ الاحتكاك وتبدأ المناوشات بين الطرفين حتى يطلق أحدهم نيرانه في الهواء تهديدا فيزداد الهتاف اشتعالا وتبدأ الاشتباكات الجانبية حتى يرفع أحدهم ذلك الشاب الوسيم القائد على كتفيه ويعلو صوته بالهتاف فينقض عليه بعض الجنود محاولين السيطرة عليه ومن ثم اعتقاله هو ومن رفعه وتزداد الاشتباكات التهابا بينما تنتصر الأسلحة المشهرة في وجه الثوار بين آونة وأخرى حتى تتمكن من السيطرة على الموقف

ويتم اختطاف القائد من بينهم ثم اختفائه تماما وكأنما ذاب السكر في كوبٍ من الحبر الأسود ثم كتب الحبر النهاية، ولكنها لم تكن النهاية، فلقد أصبح الجميع قائدا حتى أن الهتاف أصبح بلا قائد، أو أنه بالأحرى أصبح بلا ثوّار، فالكل هنا قائد، ولعله كان سببا في اختفاء الهوية رغم الضجيج واندثار الحقيقة رغم بزوغها، وتتسع دائرة الاعتقال، وتضيق دائرة الثوّار، وتختفي وجوه كانت هنا وهناك. فأين تلك الفتاة التي كانت توزع المياه بين المحترقين تحت أشعة شمس الظلم؟! وأين ذلك الشاب الذي رأيناه كثيرا يكتب على جدران الخوف ألا تخافوا ولا تحزنوا فإن الله معنا؟! أين الذين كانوا يفترشون الأرض احتجاجا؟! أين كُتّاب اللافتات. أين صانع الأقنعة الحديدية التي قد تقينا من رصاص الغدر؟! لقد اختفوا جميعا وما بقي سوى أصداء الهتاف التي مازالت تجوب الميدان وتتلاشى ألما ويأسا حتى تظهر تلك الحافلة العسكرية فتمر سريعا صوب بقايا ثورتهم تدهسها وتدهسهم فلا يتبقى سوى بقايا أقمشة كانت منذ قليل أعلاما ترفرف حول الأحلام، ودخان القنابل المسيلة للدموع يحجب الرؤية والدموع، بل والعيون التي ما لبثت أن تبكي حتى كفت عن النظر.

تنتفض إيمان للوقوف المفاجئ لسيارة سناء وتنتبه لتلك النهاية الأليمة للمشهد الأخير فتدرك أنها مازالت في طريقها إلى خالد ولكنها مازالت أيضا في الميدان، فقلبها هناك حيث فقدت خالد لأول مرة، وعندما حان اللقاء كان هو هناك على سرير المرض غير قادر على الهتاف من جديد، وهنا وقفت سيارة سناء، وتوقف المحرك ومعه كاد أن يتوقف قلب إيمان التي لم تعد

قادرة على تحديد مشاعرها.. هل هي سعيدة بلقاء لطالما انتظرته؟ أم أنها تخشى أن يكون اللقاء الأخير. مازال الأمل يحبوها ومازالت تحلم، فابتسمت بشفاه متفائلة وعيون يدميها البكاء ونظرت إلى سناء

- يارب.
- (سناء بابتسامة أغرقتها الدموع). يارب.

* * *

في مكتب الدكتور مصطفى في المشفى دار نقاش حول حالة خالد:

- يا عادل.. اللي بتقوله ده بيقربني أوي من الحقيقة، إيه المشكلة في إنك تدخل عليه أنت وأبوه وينهار كده وتجيله الحالة إلا لو هو شايف حاجه احنا مش شايفينها ومش هنشوفها! (يصمت قليلا) أو إن أبوه له دور في اللي بيحصل مثلا تفتكر ممكن يكون أبوه هو السبب في حالته؟! لأنه عامل مشترك في كل المواقف. (يحرك رأسه يمينا ويسارا مترددا رافضا الفكرة تماما) بس لأ .مينفعش. ده صاحبه كمان حصل معاه نفس الموقف.

يمسك عادل بأحد التقارير ويدقق النظر في بعض النتائج محدثا مصطفى

- مش ممكن تكون مشكلته مع أبوه. ده بيحبه جدا !

يترك عادل التقارير ويضعها أمامه على المكتب

- الموضوع معقد جدا.. (ينظر إلى مصطفى بدهاء) لأنه لما خرج بره دايرة أبوه وأمه وصاحبه أديك شفت اللي حصل!

- (تتسع أحداق مصطفى) تصدق إنك نهتني لحاجة مهمة أوي.

- إيه هي؟

يتحدث مصطفى بثقة وهو يفتح جهاز " اللاب توب " الخاص به

- احنا ماشيين في سكّة غلط .

- غلط؟! يعني إيه؟! (يبدو عادل متعجبا)

- احنا بنشتغل على النتائج ومفكرناش في المسببات.. قصدي يعني احنا معرفناش تاريخه كويس.

يبتسم عادل ابتسامة عريضة

- والله أنا قلت من الأول لازم طبيب نفسي.

- بالظبط.. ومش أي دكتور كمان.

يستمر مصطفى في التحرك على لوحة مفاتيح حاسوبه ويدخل إلى مواقع عديدة تتحدث في معظمها عن حالات الصرع المفاجئ .. وبالتحديد كان يبحث عن حالات الصرع نادرة الحدوث.. تلك التي يختفي أثرها سريعا ويظهر بشكل مفاجئ.. ويُشعل سيجارة تلو الأخرى وتمر الدقائق ثم يتناول هاتف المكتب محدثا عامل "البوفيه" ويطلب قدحين من القهوة في حين يسعل عادل من دخان السجائر الذي ملأ الغرفة عن آخرها ويقف متجها إلى نافذة الغرفة ويفتحها محدثا مصطفى بغضب

- يا مصطفى أنا خلاص اتخنقت من الدخان.. خِفّ شوية

يبتسم مصطفى ساخرا وهو يطفئ سيجارته التي لم يُنهِها بعد

- ما قلتلك دخّن معايا وأنت اللى مش راضي.. (يضحك ويبدو كأنه ثمل).. صدقني لو دخنت معايا هترتاح .

يتجهم عادل ويبدو غاضبا وقد احمر وجهه وزاد سعاله وهو يشيح بيديه في الهواء محاولا طرد الدخان من الغرفة

- يابني نفسي اتقطع.. مش عارف اتنفس بجد.

يصمت مصطفى لبرهة وقد تجمدت عيناه ناظرا إلى عادل

- تعرف إن الولد ده بيدخن ؟

- لاحظت آه. بس إيه اللي فيها ؟! إيه علاقة ده بالحالة؟!

يبتسم مصطفى بثقة وقد التقط سيجارة جديدة وأشعلها

- إيه اللي فيها إزاي؟! دي ملاحظة مهمة جدا

يجلس عادل من جديد وينظر إلى السيجارة في يد مصطفى مشمئزا

- فهمني أكتر.. وبعدين اطفي الهبابه دي.

يكتشف مصطفى أنه أشعل سيجارة جديدة دون أن ينتبه وقد نسي أو تناسى أنه لم يلبث أن أطفأ سيجارته من أجل عادل..

- هو أنا ولعتها امتى؟ (متعجبا) آسف بجد. (يبتسم ابتسامة ماكرة) هخلصها ومش هولع تاني.

- إيه المشكله في إنه بيدخن؟! ده حتى صورة الدم مفيهاش حاجة تخوّف من التدخين عنده!

يقف مصطفى إلى جوار النافذة وينفث دخانه منها بعيدا عن عادل

- فاهم ده كويس. بس ركز شوية. (يتحدث بهدوء وكأنه يشرح درسا لتلميذه) بيدخن يعني في حالة إدمان.. صحيح إنها سجاير عادية مش مخدرات، بس التدخين نوع من أنواع الإدمان اللي بيسموه تعوّد.. وبالتالي عنده كل الآثار المترتبة على التدخين زي الصداع لو مدخنش مثلا، الدوخة

لما يدخن فجأة من غير أكل أو شرب، وأكيد بيشرب قهوة أو غالبا يعني هتلاقيه بيحب الشاي والقهوة. (يخطو خطوات منتظمة نحو الكرسي) كان في المعتقل.. أكيد شاف أيام صعبة، قِلّة النوم، أرق، تعذيب، حرمان من السجاير، ضغوط ملهاش عدد، خدله ضربيتن على راسه من اللي هما. نربط بقى كل ده باللي حصل من يوم ما خرج من المعتقل، كلها مؤثرات "قد" تؤدي إلى (ينظر صامتا إلى عادل منتظرا إجابته وكأنه يدفعه لإجابة محددة) تؤدي إلى إيه يا دكتور؟!

يفكر عادل بعمق .. وينظر إلى مصطفى وقد تدارك ما أراده مصطفى من تحليله السابق

- زهايمر ؟ !

يجلس مصطفى على كرسيه بينما يطرق أحدهم باب الغرفة ثم يدخل إليها وفي يديه يحمل قدحين من القهوة، ثم في أدب يضعهما على المكتب وينسحب بهدوء

- (مصطفى محدثا عامل البوفيه) شكرا يا بني. (يعيد النظر إلى عادل) ليه لأ ؟! (يعتدل في جلسته متناولا قدح القهوة) الـ MRI يا دكتور نتيجته هتفسر حاجات كتير.

- (يبدو عادل غير مقتنع) بدري أوي على التفسير ده. أعراض الزهايمر شبه أعراض أمراض كتير . (متردداً) بس وارد .

يشربان القهوة في هدوء وكل منهما يجول بخاطره العديد والعديد من التساؤلات وقد عم السكون الغرفة حتى قطعه مصطفى بدخان سيجارته

الجديدة التي أشعلها مع قدح القهوة فنظر إليه عادل غاضبا بينما نظر إليه مصطفى بخجل وقالت ملامحه أني نسيت أمرك من جديد، ثم انفجر كلاهما ضحكا، ثم وقف عادل مستعدا للخروج من الغرفة.

- دخن براحتك بقى، أنا في 125

- (يضحك مصطفى بخجل) استنى بس.

يخرج عادل من الغرفة ويغلق بابها على مصطفى وفي هذه اللحظة يرتطم بفتاة كانت تمر أمام الغرفة مسرعة فينظر إليها في خجل بينما لاتهتم هي لأمره وتستمر في اندفاعها، ثم تقف أمام منصة الاستقبال في نهاية الممر ومازال عادل يتابعها بنظره وتلتقط أذنه حديثها مع مسؤول الاستقبال وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة أجبرت عادل على متابعتها حتى النهاية متسائلا ما خطب تلك الفتاة ورفيقتها!

- أوضة 125 لو سمحت.

- الدور الأول.. الأسانسير من هنا (مشيرا إلى يمين الممر).

وهنا ينتبه عادل لطلبها.. فهي تبحث عن غرفة خالد، ذلك الشاب الذي كان حديث الغرفة مع الدكتور مصطفى ، فيناديها بأدب:

- لو سمحتي.. (يشير إليها وهي تتساءل إن كانت هي التي يحدثها مشيرة إلى نفسها).

- أنا؟!

- أيوه.. من فضلك لحظة واحدة بس.

تعود إليه إيمان مسرعة وقد انتابها القلق والتعجب في آن واحد

- حضرتك بتكلمي أنا؟

- أيوه.. أنتي بتسألي عن خالد؟

تسرع إليهما سناء في قلق وتوتر وقد أقحمت نفسها في الحوار سريعا

- أيوه بنسأل عن خالد.. حضرتك تعرفه؟ هو في حاجة؟

يحاول عادل تهدئة سناء وإيمان بلباقة

- لا أبدا، خالد بخير متقلقوش.. بس كنت عايز اتكلم معاكم شوية لو ممكن.

نظرت إليه إيمان بحزن ووجهت كلماتها إلى عينيه وقد هربت من عينيها الدموع، واحتدت ملامحها وكأنما تُجبره أن ينهي الأمر الآن

- ماله خالد ؟!

مازال عادل هادئا يقاتل من أجل السيطرة على حالتَيهما، ويجاهد كي يقنعهما ضمنيا أن خالد بخير ولا داعي للقلق

- مبدئيا.. مش هتقدروا تشوفوه دلوقتي لأنه نايم تحت تأثير المهدئ (يعتذر ويقدم نفسه لهما) آه.. لامؤاخذه. أنا الدكتور عادل المشرف على حالته.. (يستطرد) يدوب هتشوفوه من القزاز، ثانيا وده الأهم.. واضح إن أمره يهمكم، ويهمني أنا كمان بصفتي الطبيب المعالج وحالته بقت من أهم الحالات عندي وعشان كـ..

تقاطعه إيمان مستنكرةً

- حالته ؟.!

- على فكرة أنا جار خالد وهو زي ابني ويهمني أمره وحالته، مش حاجة تخوف، بس أعتقد كلامي معاكم هيكون له دور في العلاج إن شاء الله.

ترتبك إيمان وقد اكتشفت أن عليها أن تُفصح عن شخصيتها ونوع علاقتها بخالد، الأمر الذي لم تفكر فيه قبل أن تأتي إلى المشفى، وهنا تتدخل سناء محاولة إنقاذ الموقف:

- احنا زمايله من أيام الجامعة وأصحابه، وإيمان من أعز أصدقائه.. وأكيد يهمنا أمره.

يبتسم عادل

- تشرفنا.. اتفضلوا معايا.

يتحرك عادل في اتجاه مكتبه المجاور لمكتب مصطفى وتتبعه سناء وإيمان وقد بدت الأخيرة مستنكرة ما يحدث وتحاول إخفاء رغبتها في رؤية خالد حتى لا يفتضح أمرها المرسوم على وجهها والذي أدركه عادل منذ الوهلة الأولى.

* * *

الفصل السادس

الصفقة

طبيعة خلابة وأشجار كثيفة الأوراق وزهور هنا وهناك، مسبح كبير أشبه بعرض أزياء لملابس البحر مختلفة الأشكال والألوان والتي تكشف عن أجساد فتيات فاتنات مابين الشقراوات والسمراوات يسبحن ويلعبن، وهناك في يمين المسبح مكان مخصص للأطفال يستمتعون باللعب واللهو في مسبحهم الصغير.. أناس كثيرون يتحركون هنا وهناك في الممرات المؤدية إلى المسبح، إلى اليسار مطعم أنيق تمر رائحة الشواء منه إلى المكان بأكمله.. وأكواب العصائر والمشروبات الروحية في كل مكان، أصوات عديدة ومتداخلة وضوضاء رقيقة تعم المكان، وإلى إحدى المناضد المجاورة للمسبح يجلس السيد "كامل منصور" رجل الأعمال الذي اعتاد أن يقضي يوما في هذا المنتجع كلما سمح له وقته الثمين جدا، وأمامه على المنضدة قدح من القهوة وهاتفه المحمول وبعض المفاتيح لسيارته وأشياء أخرى .. يتقدم إليه النادل في أدب وبابتسامة رسمية يحدثه:

- منورنا يا باشا ...أي أوامر سعادتك.
- (يبتسم إليه كامل بأناقته المعتادة) شكرا ..

في نهاية الممر المؤدي إلى المسبح يدخل الضابط جمال الخولي مرتديا بنطالا من "الجينز" و "تي شيرت" زاهي الألوان وبين يديه هاتفه المحمول ويتقدم بخطوات واثقة في اتجاه كامل ويراقبه كامل حتى يصل إليه فيقف الأخير احتراما ومرحبا:

- جمال باشا.. حمدالله على السلامة

يتبادلان الترحاب والتحية ويجلس جمال

- الله يسلمك.. (مداعبا كامل) شربت حاجة ولا لسه؟

- تشرب إيه يا جمال باشا؟ دا واجب علينا، أنت ضيفنا النهاردة.

يبتسم جمال ويشكر كامل على ترحابه ومجاملته

- يبقى قهوة مظبوط.. (مستنكراً بلطف) وبعدين إيه حكاية ضيفنا دي؟! هو أنا خلاص بقيت ضيف؟!

- العفو يا جمال باشا (مبتسماً). دا أنت صاحب مكان

يشير كامل إلى النادل الذي وقف على مقربة من المنضدة في انتظار إشارة منه، فيتقدم إليه

- أوامر سعادتك

- قهوة مظبوط للباشا. (يشد على يده) من البن بتاعي.

يومئ النادل ويتحرك سريعا لإحضار القهوة، وهنا ينظر كامل إلى جمال بجدية متسائلاً:

- خير يا باشا.. أنا عارف إن وقتك ضيق.

- بيعجبني إنك عملي ومبتضيعش وقت، وكويس إنك دخلت في الموضوع على طول. باختصار عايزين العيال بتوع عملية الكمين.

يعتدل كامل ويتكئ على المنضدة بكلتا يديه وقد أصابه الذهول

- عايزينهم؟ قصدك إيه ؟! استنى استنى. (يبتسم ممتعضا) قول تاني كده.

- كلامي واضح. (يبتسم جمال بثقة) والموضوع مفيهوش هزار. الوقت مش ملكنا، العيال دول مطلوبين دلوقتي قبل كمان شوية.

يصل النادل إلى المنضدة ويضع قدح القهوة أما جمال ويبتسم له :

- أي أوامر تانية يا باشا؟

- (ينظر جمال إلى قدح القهوة ثم إلى النادل) شكرا.

- (يشير كامل إلى النادل بهدوء) قولهم يحضروا الغدا .

- (يبدو جمال معترضا) لأ. غدا إيه؟ أنا راجع النهاردة. (ينظر في ساعته) يدوب ألحق الطيارة .

- (كامل ضاحكا) طيارة إيه بس، دحنا نطلعلك طيارة مخصوص يا باشا، نتغدى سوا ويحلها ربنا.

يقف جمال معلنا بأدب شديد رفضه تماما لفكرة الغداء بينما مازال يقف النادل منتظرا إشارة كامل له والذي يصرّ على طلبه.

- والله أبدا. (محدثا النادل) روح يابني زي ما قلتلك .

ينسحب النادل منحنيا لأوامر كامل ومازال كامل يحاول إقناع جمال بذلك

- مستعجل ليه يا باشا؟ اقعد بس عايزين نكمل كلامنا.

يتحدث إليه جمال بجدية شديدة وقد ارتسمت على وجهه صيغة الأمر

- مفيش كلام تاني.. خلص الكلام (يتناول متعلقاته من على المنضدة مشيرا لأحد الواقفين هناك بعيدا ويبدو أنه أحد الحرس الخاص به ويستطرد في حديثه إلى كامل) قدامك 24 ساعه وتبلغني عشان نتحرك. (يرمي عليه التحية بيده منسحبا من المكان) لمصلحتك متتأخرش عليّا .

مازال كامل يجلس في مكانه متابعا مغادرة جمال للمكان وقد بدا عليه الغضب الشديد ثم يضرب بيديه على المنضدة ويظهر أمامه النادل من جديد

- الغدا جاهر يا باشا.. أنزله هنا ولا جوّه ؟

ينظر إليه كامل غاضبا ويشيح بيده

- غور من وشي دلوقتي

* * *

في مكتب الدكتور عادل تجلس إيمان وسناء على الكرسيين المقابلين للمكتب ويطلب لهم عادل كوبين من العصير

- في الحقيقة خالد بيمر بحالة غريبة، لحد دلوقتي مش عارفين نحدد طبيعتها

-)ترد إيمان في عجالة وهي تنظر إلى سناء) أنا كنت متأكده إن خروجه من المعتقل فجأه كده مش طبيعي. (تحاول تمالك دموعها) عنده إيه بالظبط يا دكتور؟

- بصي يا إيمان. (ينظر إلى إيمان باهتمام ويصلها إحساسه ورسالته التي قال فيها: أنت إيمان حبيبة خالد وأقرب الناس إلى قلبه. أليس كذلك؟) مش إيمان بردو؟

تومئ إيمان برأسها خجلا وقد أيقنت ما يدور بخاطره ويستكمل حديثه

- خالد مر بظروف صعبه أكيد انتي عارفاها، وواضح إنها أثرت عليه لدرجة إنه مبقاش طبيعي، من يوم ما رجع البيت وعلاقته بأهله مش طبيعية، وردود فعله غريبة، نوبات انفعالية غريبة أشبه بالصرع، وإغماءات، نقدر نقول مؤقتا إن الحاجة الوحيدة المؤكدة إن الدماغ مش طبيعي.

تنظر إيمان بهلع إلى سناء ثم إلى عادل وتنهمر دموعها وتتلعثم وتخرج كلماتها متقطعة وغير واضحة ممتزجة بصوت نحيبها

- يعني إيه؟ يعني خالد مبقاش خالد!! أنا لازم أشوفه. (تنهار جميع محاولاتها في إخفاء مشاعرها وحقيقة علاقتها بخالد) أنا واثقة إن حجات كتير هتتغير لو شفته.. أرجوك يا دكتور أنا عايزه اشوفه حالا. أرجوك.

يحاول عادل تهدئة إيمان فيتحرك إليها ويربت على كتفها وإلى جوارها وقفت سناء تربت هي الأخرى على كتفها وقد أجهشت بالبكاء هي الأخرى.

- ما تخافيش يابنتي.. إن شاء الله هيبقى طبيعي، بس مسألة وقت، كل دي استنتاجات، وإن شاء الله أكون غلطان في كل اللي قلته، ولو عايزه تشوفيه أنا معنديش مانع .

- دلوقتي. ها ؟ دلوقتي.

- حاضر يا بنتي، حاضر، بس ضروري اتكلم معاكي في حاجات كتير عايز أعرفها منك. (ثم ينظر إلى سناء) بس ياريت نكون لوحدنا. (يستطرد محدثا سناء) ده بعد إذنك يا بنتي.

- (بخجل وتشعر بالحرج) لا لا.. أبدا مفيش أي مشكلة خالص.

- (يقرر عادل أخذهم إلى غرفة خالد) اتفضلوا معايا.

يخرجون جميعا من الغرفة ويستقلون المصعد في اتجاههم إلى غرفة خالد في حين تصل إيمان مكالمة من حمزة فترد المكالمة سريعا:

- أيوه يا حمزة.. أنا في المستشفى ورايحه أوضة خالد. أنت فين؟ آها.. أوك. خلاص. أنا طالعه أهو.

يخرجون من المصعد في الدور الأول من المشفى وتلحق إيمان وسناء بالطبيب عادل في اتجاه غرفة خالد والتي كانت بجوار المصعد حيث يقف حمزة أمام باب الغرفة في انتظار إيمان ويستقبلها بعيون حزينة

- إيمان. إزيك.. اتأخرتي ليه؟

- إزيك يا حمزة .

ترد إيمان السلام على حمزة بينما تراقب بعينيها غرفة خالد والتي قد أغلق بابها و عليه لافتة تشير إلى رقم الغرفة "125" ويفتح عادل باب الغرفة فتلمح إيمان سرير خالد وترى وجهه من بعيد وقد استغرق في نوم عميق، وتراقب إيمان ملامحه، ثم تنتقل بعينيها إلى جسده وهو يتحرك بهدوء مع أنفاسه ومن حوله ترى المرضات، وإلى يمينه شاشة تمر فيها دقات قلبه المنتظمة وقد علقت له بعض المحاليل، وهناك الكثير من الأسلاك المتصلة بجسده ووجهه وصدره.

تقف إيمان متجمدة تخشى الدخول إلى الغرفة، ويراقبها كل من حمزة وسناء، ثم استأذن حمزة في المغادرة إلى استراحة المشفى بالدور الأرضي للاطمئنان على سعيد الذي ينتظر هناك لحين السماح له بالدخول إلى خالد، وهنا تدفع سناء إيمان برقة في اتجاه الغرفة

- ادخلي يا إيمان، ادخلي شوفي خالد ، أنا واقفة هنا مع حمزة. فيرد حمزة :

- معلش يا سناء أنا مضطر انزل الاستراحه تحت.. عم سعيد قاعد لوحده وهرجعلكم تاني.

يتحرك حمزة في اتجاه المصعد بينما يدخل عادل إلى الغرفة وبصوت منخفض وبين يديه التقرير المعلق على السرير يقرأ ما فيه، يدور حديث سريع بين عادل والممرضة، وتلاحظ إيمان حديثهما الذي يبدو فيه كثير من المصطلحات الأجنبية غير المفهومة، ثم يدعو إيمان للدخول والتي قد تجمدت قدماها بجوار باب الغرفة

- تعالي يا إيمان.. واقفة بعيد ليه؟

تدخل إيمان بخطوات بطيئة جدا وقد استقرت عيناها على وجه خالد، ثم تقترب منه بهدوء وتجلس على الكرسي الذي تضعه لها الممرضة بعد أن طلب منها عادل ذلك، تلقي بمتعلقاتها جميعا فوق المنضدة الصغيرة، ثم ترفع يدها بحذر في اتجاه يد خالد وتمسك بها بهدوء حتى تحتضن يده بيديها تماما ، وتحاول بهدوء أن تتشابك أصابعهما كما اعتادت معه، إلا أنها تفشل في ذلك فتنظر إلى وجهه بيأس، ثم تنتقل بعينيها إلى عادل بحزن شديد حتى تحدث المفاجأة فتتحرك أصابع خالد بهدوء ورقة وتحتضن يدها وتتشابك أصابعهما فتنفرج أساريرها وتبتسم وتخرج دموعها تشاركها الفرحة وتنتقل بعينها إلى وجه خالد سريعا وتنطق بعفوية دون أن تفكر في المكان أو الزمان أو حتى الموجودين

- حبيبي.. أنت كويس؟

يبتسم عادل وقد دب الأمل في ملامحه في حين يتحرك وجه خالد بهدوء شديد في اتجاه إيمان ويحاول فتح عينيه بهدوء وتبدو له الرؤية شبه منعدمة حتى يتلاشى الضباب فيهما شيئا فشيئا وتظهر أمامه أعين إيمان

وشفاهها المبتسمة ودموعها التي انسكبت على خديها، ويراقب عادل ما يحدث بقلق متمنيا أن تمر الأمور بسلام إلى أن تحركت شفتا خالد وخرج صوته مبحوحا وغير واضح:

- إيمان ..

تبتهج إيمان ومازال عادل يراقب الموقف

- أيوه أنا إيمان.. وحشتني يا حبيبي. أنت كويس ؟

تعود الرؤية أمام خالد إلى الظلام المشوش ثم تختفي تماما مرة أخرى ويغلق عينيه من جديد وقد شد على يد إيمان بقوة، ثم يعود إلى نومه من جديد ومازال يتنفس بشكل طبيعي، إلا أنه مازال متشبثا بيد إيمان بقوة يصعب الإفلات منها، وتنظر إيمان إلى عادل بقلق وكأنها تسأله عما حدث فتطمئنها عيناه بابتسامة متفائلة ثم كلماته

- متقلقيش.. مفعول المهدئ لسه شغال. (يبتسم) بس واضح إن تأثيرك عليه فوق التوقعات.

يحمر وجه إيمان خجلا، ثم تعود بنظرها إلى خالد وقد شعرت بالأمان بين يديه ولا ترغب في الإفلات منها، في حين يلمح عادل تلك الأوراق التي ألقت بها إيمان على المنضدة ويقرأ ما كتب عليها بعينيه "مابين الخوف والحقيقة. بقلم: إيمان التهامي" ثم يبتسم محدثا إيمان التي لم تنتبه إلى انها قد أحضرت معها أوراق المقال

- أنتي كاتبة يا إيمان؟

تنتبه إيمان لكلمات الدكتور عادل والتي أخذتها من عالمها الخاص إلى وجه عادل المبتسم

- يعني.. بحاول، أنا صحفية تحت التمرين. (تنظر إلى أوراقها يائسة) ده أول مقال ليا، وشكله كده مش هيشوف النور.

- (عادل وهو يقرأ ما كتب باللون الأحمر) "يعدل" مممممم.. ده طبعا رئيس التحرير.. مش كده؟

تومئ برأسها

- آه ..

- دايما أول خطوة بتبقى صعبة. (يقترب من الأوراق ويمد يده لالتقاطها وبأدب شديد يستأذن إيمان) ممكن اقرأه؟ لو مش هيضايقك.

- لأ خالص.. اتفضل حضرتك.

يجلس عادل على أحد الكراسي بجوار باب الغرفة وقد تمعن في قراءة المقال وانهمك تماما، وتمر الدقائق وقد جلست إيمان إلى جوار خالد ولم تتوقف عن البكاء في صمت محاولة بشتى الطرق إيقاظه، فترسل له رسائل حبها عبر نبض أصابعها بين يديه دون رد ، وفي تلك الأثناء يطرق أحدهم باب الغرفة ثم يفتح الباب ويدخل حمزة محدثا إيمان في ارتباك:

- إيمان.. عم سعيد جاي يشوف خالد.

ترتبك إيمان وتحاول الإفلات من قبضة خالد بعنف حتى تفلت منها وتقف مهرولة إلى خارج الغرفة بينما يحدثها عادل بقلق

- مالك يا إيمان.. استني بس. (ويشير إلى الأوراق التي بين يديه) طب المقال بتاعك (ثم ينظر إلى حمزة) هو في إيه؟

- لا أبدا يا دكتور.. بس إيمان مش عايزه أبو خالد يشوفها هنا (يتدارك الموقف) هبقى أفهم حضرتك بعدين.

يبتسم عادل إلى حمزة وقد ارتسمت على وجهه قصة حب خالد وإيمان كاملة

- متقلقش .

تخرج إيمان مسرعة من الغرفة فتجد سناء تقف في انتظارها فتحدثها في عجالة

- يلا يا سناء .

تستوعب سناء الموقف سريعا وتهرول خلف إيمان التي قد وصلت إلى المصعد بالفعل وهي تتحدث

- أوكيه.. (تنظر إلى حمزة الذي قد وقف على باب الغرفة) ابقى طمني يا حمزة. سلام

- أكيد. سلام. (ثم يستوقف سناء بلهفة) سناء.

تنظر إليه سناء وهي تحاول اللحاق بإيمان فتجد حمزة ينظر إليها بحزن ورجاء

- نعم.. إيه يا حمزة، في حاجة؟

- خلّي بالك من إيمان.. (وقد لمعت عيناه)

تبتسم إليه سناء بحب وتحاول طمأنته

- متقلقش.. خلي بالك أنت من خالد.

يبتهج حمزة وقد شعر بأن مشاعره تجاه إيمان وخالد قد وجدت ضالتها.

- بتوصيني على خالد. (بثقة شديدة مبتسما) يلا الحقي صاحبتك .

يفتح باب المصعد وتدخل إيمان مسرعة ومن خلفها سناء التي لحقت بها ويصطدمان بسعيد الذي كان على وشك الخروج من المصعد فتلتقي عينا إيمان وسعيد للحظات سريعة، فتتدارك سناء الأمر وتحاول بأدب الاعتذار إلى سعيد

- مش تحاسبي يا بنتي.. (تنظر إلى سعيد) سوري يا عمو.. احنا آسفين والله

يمسك سعيد بكتفه الذي ارتطم بباب المصعد ومازالت عيناه معلقة بعين إيمان ثم يبتسم بهدوء لسناء

- لا ولا يهمك يابنتي

يخرج سعيد من المصعد ثم ينظر إليهما من جديد ومازالت عيناه معلقة بإيمان وكأنه يعرفها أو أنه يعتقد أنه يعرفها بينما ينغلق باب المصعد شيئا فشيئا حتى لا يتبقى منه سوى سنتيمترات قليلة لا يظهر منها سوى أعين إيمان التي مازالت هي الأخرى تنظر إليه بقلق.. ثم يُغلق باب المصعد عن آخره فيعود بنظره وإذا بحمزة يمسك بكتفه

- أنت كويس يا عم سعيد؟

ينتبه إليه سعيد ومازالت عيناه شاردة

- بسيطة يابني.. مش عارف هما مستعجلين على إيه. (ينظر في عين حمزة بعمق) أنت تعرفهم؟

يرد حمزة بارتباك محاولا إنكار معرفته بهما

- هما مين دول؟ قصدك البنات دي؟ لا لا، وأنا هعرفهم منين، تعالى يا عم سعيد، تعالى نشوف خالد.

* * *

في صباح اليوم التالي لدخول خالد إلى المشفى تدخل إحدى الممرضات إلى مكتب مصطفى وبين يديها تقرير طبي

- تقرير الـ MRI بتاع 125 يا دكتور.

يفتح مصطفى التقرير بلهفة محدثا الممرضة:

- شوفيلي الدكتور عادل جه ولا لسه.

- حاضر يا دكتور.

يتفحص مصطفى نتائج التقرير بدقة شديدة ويعيد النظر إلى النتائج عدة مرات بينما يدخل عادل إلى مكتبه دون أن يشعر ويفاجئه

- صباح الخير.. إيه الأخبار يا مصطفى؟

- خد شوف بنفسك.

يتفحص عادل نتائج التقرير بعناية ثم يتوقف عند أحدها محدثا مصطفى

- آها .. نزيف داخلي، بس بقاله فترة وعامل تلف في أنسجة بعض الخلايا في المخ، وأكيد ده نتيجة للتعذيب.

- تمام.. يعني قربنا أوي من الزهايمر. صح يا دكتور عادل؟

- طبعا.. وبنسبة كبيرة كمان، ومش بس كده، احنا قربنا من حاجات كتيرة

- أوك.. بس في حاجة غريبه، الزهايمر فقدان مؤقت للذاكرة، وغالبا بيكون للأحداث القريبة، لكن خالد (ينظر إلى عادل ثم يتوقف عن الكلام)

- (عادل بتركيز شديد) حالة خالد فقدان متقطع للذاكرة عموما.. صح كده؟

- تمااااام.. يفقدها وترجعله، ويفقدها تاني، هو ده بقى الغريب في الحالة، ولا هو مابيفقدهاش أصلا؟

- (عادل مؤكدا على كلام مصطفى) عموما أنا كلمت الدكتور مروان وشرحتله على أد ما قدرت وهو مستني مننا موعد.

- مروان مين؟

- الدكتور مروان الشربيني، معقول متعرفوش!

- آه.. تقريبا سمعت اسمه قبل كده، بس معرفوش.

- أنا كمان مقابلتوش قبل كده، بس متابعه من زمان، وكمان الدكتور مجدي قالى إنه أفضل طبيب نفسي للحالات الغريبة اللي زي دي .

- (مصطفى مبتسماً) هايل، الدكتور مجدي مرجع وأكيد هو عارف أكتر مننا.. بس هو شاف التقارير بتاعت الحالة؟

- كلها، وهو اللي اقترح عليا طبيب نفسي من غير ما أقولّه.

- (يشعر مصطفى بالارتياح) ممتاز، توكلنا على الله.

- أنا قلتله كل حاجه تقريبا.. وكمان قلتله إننا بنشك في الزهايمر، والراجل بصراحة عملنا استثناء في أي موعد نحدده لأن مواعيده صعبة أوي.

- (ينظر إليه مصطفى بخبث) أرزاق يا دكتور، ربنا يزيده.

يتلقى عادل مكالمة على هاتفه المحمول من رقم غريب فيجيب المكالمة

- آلو. مين؟ أيوه يا إيمان، ازيك؟ (يصمت قليلا مستعما إلى إيمان) أيوه أيوه، أنا قلتله يديكي الرقم، عاملة إيه؟ لا تمام، متقلقيش..كله تمام، بس إيه المقال ده؟ داحنا لازم نقعد ونتكلم. صحيح انتي مش عايزه المقال بتاعك ولا إيه؟ خلاص اتفقنا.. أنا في انتظارك. مع السلامة.

يُنهي عادل مكالمته مبتسما وينظر إلى مصطفى

- دي ياسيدي سر من أسرار خالد.

- سر من أسراره (مصطفى متعجبا) مش فاهم!

- دي حبيبته ياسيدي.. وبتشتغل صحفية تحت التمرين، كانت هنا امبارح وأول ما مسكت إيده فاق وشافها وقال اسمها ونام تاني!

- كل ده محتاج تفسير، قعدت معاها ولا لسه؟

- هتيجي بعد شوية تاخد ورقها وأقعد معاها، أكيد هنفهم حاجات كتير منها.

- (مصطفى متسائلا) ورقها؟!

- أيوه ياسيدي، نسيت مقال كانت كاتباه، بس مقال يودي في داهية، واضح إنها ثورية زيه، لأ وإيه.. رئيس التحرير بتاعها عاملها شوية تعديلات (ضاحكا) تقريبا غيّر المقال كله.

- لما تيجي عايز أشوفها.

- أول ما توصل هكلمك، يلا (يقف عادل استعداداً للمغادرة) أنا في مكتبي.

يخرج عادل من مكتب مصطفى بينما يفتح مصطفى جهاز اللاب توب الخاص به ويبدأ عمليات البحث من جديد فيما يخص حالة خالد وأمامه صفحات عديدة لأمراض الزهايمر وما شابه ويُشعل سيجارته وقد انهمك في قراءة أحد التقارير الدورية لإحدى المجلات الإنجليزية عن الزهايمر وتطوراته والأمراض النفسية التي قد تُصاحبه وقد بدا في غاية التركيز مُحدثًا نفسه:

- كل مره يبقى ناقص حاجة! وبعدين يا عم خالد!

* * *

شاشات المتابعة تُشير إلى تقلبات مُفاجِئة تنتبه إليها الممرضة المتواجدة باستمرار في الغرفة إلى جانب خالد والتي تنتفض وتهرع من الغرفة لاستدعاء الأطباء في حين يتقلب خالد في منامه ثم يفتح عينيه بشكل مفاجئ وينظر حوله في كل مكان مستكشفا المكان حتى تقع عينه على تفاصيل الغرفة ويعي أنه في المشفى ولا يدري متى وكيف انتقل إليها، ثم تستقر عينه على زجاج الغرفة الذي يطل على ممر الدور الأول، ومن خلفه يرى ما لم يتوقعه، فتحمر عيناه من جديد ويقوم من سريره سريعا في اتجاه الزجاج، وهنا تتفكك الأسلاك المتصلة بصدره وأنفه وذراعه ويتقطع بعضها وينظر حوله باحثا عن شيء ما، ثم يلتقط حامل المحاليل الكبير الثقيل وينهالُ على الزجاج ضربا فيحطم بعضه وتصاب ذراعه بجروح ليست بالقليلة، وعلى الجانب الآخر وفي ذلك الممر يسقط سعيد أرضا ويحاول حمزة مساعدته للوقوف من جديد حيث تدارك حمزة الأمر سريعا وحاول إبعاد سعيد عن الزجاج عندما لاحظ ما يفعله خالد، ويتحول المكان إلى زحام شديد وهرج كبير والجميع يحاولون تهدئة خالد، ويدخل إلى الغرفة عدد من الممرضين والممرضات ويمسكون بخالد محاولين السيطرة عليه إلا أنه كان من القوة والعصبية التي منعتهم جميعا من السيطرة عليه وظل يقاوم حتى خارت قواه تماما وسقط أرضا، الا أنه مازال في وعيه على عكس المعتاد، وكلما دخل شخص جديد إلى الغرفة تزداد ثورته اشتعالا، وهنا يصل عادل ومصطفى إلى الغرفة بعد أن أحكم الممرضون السيطرة عليه ووضعوه على

السرير بينما، تستعد الممرضة لحقنه بالمهدئ كما أمرها الدكتور عادل، ويبدأ خالد في الهدوء تدريجيا بينما تخرج كلماته ثقيلة:

- كلكو ... زي بعض ... (تتقطع حروفه ويثقل لسانه) إيمان.. فين إيمان؟!

يهدأ خالد تماما ويظهر عليه تأثير المُهدِّئ سريعا، ويعمل الجميع في آن واحد على إعادة كل شيء كما كان، وتعود الأسلاك إلى صدره وذراعيه بينما وقف عادل ومصطفى يتابعان التسجيل المرئي لما حدث قبل ثورة خالد بدقائق والذي لم يشهد أي حدث غريب، وإنما كانت الأمور هادئة تماما حتى أفاق خالد وثارت ثورته فقط عندما نظر إلى الزجاج الجانبي للغرفة والذي يعتقد عادل أن سعيد وحمزة كانا يقفان خلفه ينظران إلى خالد فقط ولا يوجد ما يدل على إثارة غضبه، ويحاول مصطفى تقسير الأمر لعادل

- خد بالك يا دكتور.. هو انفعل لما شاف والده وصاحبه!
- (عادل بثقة) أديك شايف بنفسك.. لسه شاكك في الزهايمر؟!
- خدلنا معاد مع الدكتور. (يفكر قليلا) قلتلي اسمه ايه؟
- مروان الشربيني .

* * *

الفَصْلُ السَّابِعُ

فوبيا

في أحد المقاهي الشعبية القديمة في قرية "أبو طويلة" يجلس عدد من الأشخاص وبينهم عربي الذراع الأيمن للشيخ عبادي، ويتوسطهم الشيخ عبادي، وقد جمعتهم منضدة في أقصى يسار المقهى، ويتقدم إليهم عامل المقهى وبين يديه العديد من أكواب الشاي الأسود الكاحل السواد، ويضع الأكواب أمامهم فيتناولونها تباعا، وتراهم جميعا في جلابيب وتغطي رؤوسهم العمامات ويبدون جميعا منصتين إلى الشيخ عبادي في اهتمام بالغ والذي يوجه حديثه إلى عربي :

- العيال بتوع الكمين دول رجالة أبو دياب.. وأنا مقدرش أبيعه (يصمت قليلا) وكمان احنا مش حمل غدر الحكومة .

- والعمل يا شيخ عبادي؟!

- متستعجلش يا عربي.. (يبتسم بدهاء) اصبر على رزقك.

- (يرد عربي بقلق) ناوي على إيه يا شيخنا؟

- أبو دياب هيبيع نفسه بنفسه واحنا إيدينا نضيفة.

- إزاي بس يا شيخ عبادي؟! (قالها عربي متعجباً غير مستوعب لما يقصدة الشيخ عبادي).

- أبو دياب بقى ورقة خسرانة.. ومش هنخسر كتير لو راح فيها. (يتكئ على المنضدة وينخفض صوته ليشبه الهمس) احنا هنرتبله ضربة جديدة ونبلغ الخولي.. ونبقى ضربنا عصفورين بحجر، سلمنا العيال وخلصنا من أبو دياب (يركز قليلا ثم يستطرد) بس أنا مش عايز العيال الصغيرة، أنا عايز العملية دي يدخل فيها رجالته العتاولة .

- (عربي متسائلا بتوسل) والمونة يا كبيرنا، هنجيبها ازاي بعد أبو دياب؟!

- (يتحدث عبادي إليه بحكمة الفلاسفة) التاجر الشاطر هو اللي بيعرف يخسر امتى. (يعبث بمسبحته) الجماعة عايزين يفتحوا سكّة معانا من غير وسيط وأنا اللي كنت مأجل الحكاية دي وجه وقتها.

يتلفت الجميع إلى بعضهم البعض في قلق وتبدو عليهم علامات التعجب، ويباغت أحدهم الشيخ عبادي بسؤال :

- مالي إيدك منهم يا شيخ عبادي؟ أنت عارف الناس دي ملهاش أمان.

- (يبدو عبادي غاضبا وقد تجعدت جبهته) زي ما احنا في أمان بسبب الحكومة هما كمان في أمان بسببنا.. ودرس أبو دياب هيعلم ع الكل .

- (يعود عربي لقلقه) بس احنا كده بنفتح على روحنا أبواب جهنم يا شيخ عبادي!

- قلتلك احنا إيدينا نضيفة ومحدش ماسك علينا حاجة، وخسارتنا خسارة ليهم، وخسارتهم مكسب لينا (يرفع حاجبيه ويتحدث كفيلسوف عميق) عشان تطوّل عمرك يا عربي لازم تقصر عمر اللي حواليك، كده أو كده في حد رايح، والحد ده أكيد مش احنا. (يلتفت إلى جميع الجالسين بنظرة تهديد ووعيد تملؤها الثقة) فاهمني يا عربي؟

* * *

يتم نقل خالد إلى غرفة جديدة بعد أن أتلف معظم غرفته وحطم معظم محتوياتها حتى أن غرفته الجديدة صماء بلا زجاج للزائرين، وبها بعض فتحات التهوية في سقفها، ونافذة صغيرة وحيدة، ومازال خالد تحت تأثير المهدئ بينما يقف كل من عادل ومصطفى يتابعان شاشات المراقبة وإلى اليمين تقف الممرضة، في حين تطرق إيمان باب الغرفة بحذر فيفتح لها مصطفى باب الغرفة حيث قد تم إغلاق الباب ومنع دخول أي شخص إلى الغرفة

- خير.. مين حضرتك؟

ينتبه عادل إلى وقوف إيمان خارج الغرفة فيناديها مشيرا إلى مصطفى بالسماح لها بالدخول

- تعالي يا إيمان ... ادخلي.

يتدارك مصطفى الأمر ويرحب بها

- أهلا يا إيمان.. معلش أصل ممنوع دخول أي حد

تدخل إيمان ويسبقها قلقها الشديد على خالد محدثة عادل :

- خير يا دكتور. ماله خالد؟ أنا رحت مكتب حضرتك وبعدها رحت أوضة خالد واتصدمت.. قالولي إن خالد كسر القزاز. هو في إيه؟

- اقعدي يا إيمان ومتقلقيش، خالد بخير، هو بس بتجيله حالة هياج وثورة، وعشان كده نقلناه هنا بعيد عن الدوشة والناس.

- أنا حاسه إن حضرتك مخبّي عليَّ حاجة! ممكن حضرتك تثق فيّا وتشرحلي؟

يتدخل مصطفى في الحوار بشكل مفاجئ:

- بصي يا إيمان.. احنا عايزينك أنتي اللي تثقي فينا (تنظر إليه إيمان بتعجب) متستغربيش.. الدكتور عادل حكالي عنك واحنا عارفين إنك شخص مهم بالنسبة لخالد.. وثقتك فينا هتفيدنا وهتفيد خالد في العلاج .

- حضرتك بتقلقني أكتر.. أنا مش فاهمة حاجة، أرجوكو تفهموني وأكيد لو في أي حاجة تفيد خالد هعملها فورا. بس افهم.

يبدأ مصطفى في شرح الحالة إلى إيمان بهدوء :

- طبعا أنتي عارفة إن خالد مر بظروف صعبة، احنا مش عارفين نحدد مدى صعوبتها وتأثيرها عليه.. بس الواضح قدامنا إن خالد رافض التعامل مع الناس، وردود فعله غير محددة، يعني مثلا ممكن تلاقي ردود فعل مختلفة ومتناقضة لمواقف متشابهة أو تكاد تكون متطابقة ومع نفس

الأشخاص وفي وقت قصير، حالة الهياج، أو بمعنى أدق الصرع اللي بتجيله مش زي حالات الصرع المعروفه، يعني ولا طبيعتها ولا وقتها ولا مدتها ليها علاقه بالحالات المتعارف عليها.

تنظر إيمان إلى خالد المستلقي على السرير وعدة ضمادات تغطي كلتا يديه ويغيطهما اللون الأحمر، وكذلك بعض الجروح الطفيفة في وجهه

- كنت حاسه إنه مش طبيعي و..

وقبل أن تكمل كلماتها يقطع حوارها مع مصطفى صوت خالد بشكل مفاجئ

- إيمان. (متألما) آآآه

يتألم خالد حيث يحاول النهوض من سريره بينما تؤلمه جروح يديه وكذلك بعض الكدمات في قدميه وظهره والتي تمنعه من النهوض، فتجري إليه إيمان وتساعده على الاعتدال في سريره بينما تصوب نظرها على الطبيبين حتى يعتدل في جلسته متكئاً على ظهره، ثم تجلس إيمان إلى جواره على السرير وقد تركت يسراها خلف رقبته ومازال خالد ينظر إلى عادل ومصطفى بحذر وهنا يحدثه مصطفى بلطف

- حمدالله ع السلامة يا بطل .

ينظر خالد إلى إيمان ثم إلى عادل ومصطفى وتتوالى نظراته إلى الجميع تباعا ثم يحاول تمالك نفسه وقد شعر بأمان بين يدي إيمان

- أنا هنا ليه؟ و و و.. وحضرتك دكتور. صح؟

يشعر مصطفى أن خالد يبدو طبيعيا تماما وكأنما قد عادت له ذاكرته أو ما شابه، فيحاول استغلال الفرصة والتحدث إليه بشكل طبيعي وكأن شيئا لم يكن، فيتجاذب معه أطراف الحديث مازحا:

- تفتكر يعني البالطو ده بتاع إيه؟ أكيد مش فنان تشكيلي.

يتعجب خالد لرد الطبيب وينطر إليه بتمعن ثم إلى الدكتور عادل

- وحضرتك بردو دكتور؟ (محدثا عادل)

- (بابتسامة خفيفة يرد عادل) أيوه يابني.. أنا الدكتور عادل، أنت مش عارفني يا خالد؟!

يتلفت خالد يمينا ويسارا وينظر إلى إيمان بقلق

- أنا في المستشفى ليه يا إيمان؟ أنا ما صدقت خرجت منها.

يلتقط مصطفى كلمات خالد ويقرر ألا يفوّت تلك الفرصة التي جاءته من حيث لا يحتسب.

- أنت كنت بتتعالج من إيه؟ شكلك فاكر كل حاجة كويس.

يفاجئه خالد بإجابته العنيفة:

- يعني مش عارف؟ (ينفعل خالد ويبعد يد إيمان عنه مشيحا لمصطفى) ما أنت السبب (تعلو نبرته) أنت السبب.

تتدارك إيمان الموقف سريعا وتتعجب من كلمات خالد وتمسك به محاولة تهدئته

- اهدا يا خالد.. اهدا، الدكتور مصطفى بيسألك عشان يطمن عليك، مفيش حاجة، هو أنت تعرف الدكتور مصطفى قبل كده؟

- (يحاول مصطفى طمأنة خالد) أنا السبب؟ ليه؟ احنا تقريبا أول مرة نتقابل.. شكلك بتشبّه عليا بحد تاني!

- (خالد متعجبا) الدكتور مصطفى؟ فعلا؟! أنت اسمك مصطفى !

يخفض خالد رأسه ويحرك وجهه يمينا ويسارا وتخرج كلماته غير مرتبة محدثا نفسه وقد أحكم قبضته على يد إيمان من جديد

- أنا مش فاهم حاجة! مصطفى؟! دكتور عادل! (ثم يرفع كلتا يديه إلى رأسه ويمسك بها منهارا) أمال ليه أنـ .. (ينهار بكاءً) أنا تعباااااان، دماغي هتنفجر .

تحتضن إيمان خالد وتضم رأسه إليها بقوة وتحاول تهدئته بينما مازال يمسك برأسه وهي تحاول تَفَهم ما يشعر به.

- أنت إيه يا خالد؟ إيه؟ قولي .

يبكي خالد وتختنق الكلمات في صدره ومازال الطبيبان في حالة تعجب مما يحدث ويحاولان استيعاب ما يقوله خالد

- أنا خلاص يا إيمان؟ خلاص اتجننت؟! أنا اتجننت.. ها؟ ردي عليا.. ها؟ أنا جرالي إيه؟!

- (مصطفى محاولا استدراج خالد) قولنا يا خالد أنت إيه؟ أنا شخصيا شايفك زي الفل

يرفع خالد رأسه من جديد وعيناه على الطبيبين وتشعر إيمان بارتعاش جسده وأطرافه. بدأ يتصبب عرقا فأخذت إيمان تمسح عرقه بيديها وتمسح على رأسه

- (خالد محدثا مصطفى) أنا مابشوفش غيرك (تهدأ نبرته ويتغير صوته تماما من الغضب إلى الهدوء اليائس ناظرا إلى مصطفى) أنا مش شايف حد غيرك (وينتقل بنظره إلى عادل) وأنت كمان مش عايز اشوفك، مش قادر أشوفك (ينظر إلى إيمان ويحذرها بخوف شديد) دول مش دكاترة ولا دي أساميهم. ها.. فاهمة يا إيمان (ينتقل بنظره إليهما) أنتوا إزاي كده؟ إزاي؟! (تتغير نبرته من جديد ويزداد انفعاله) إزاااي؟! ردوا عليا. فهموني !

تدرك إيمان أن خالد لم يعد قادرا على النظر إليهما ومازالت تحاول تهدئته وتشير بعينيها إلى كلا الطبيبين للخروج من الغرفة الآن، ويتفهم عادل ومصطفى ما أرادته إيمان ويتحركان بسرعة إلى خارج الغرفة.

- خلاص اهدا، أرجوك تهدا وتفهمني مالك.. هما ماشيين خلاص.

يتابع خالد خروجهما ثم يستلقي على السرير منهكا ومازال يمسك يد إيمان بقوة

- أنا مش عارف يا إيمان.. مش عارف مالي، أنا عطشان، عطشان أوي.

تنهض إيمان من مجلسها وتتحرك بسرعة باحثة عن ماء في الغرفة ثم تخرج من الغرفة فتجد الطبيبين قد وقفا خارجها فتطلب منهما ماءً

لخالد، تُحضره لها الممرضة وتأخذه إيمان وتدخل إلى الغرفة من جديد، فإذا بخالد ينظر إليها ثم يُخفي وجهه بين يديه صارخا.

- أنتوا عايزين مني إيه؟! عايزين إيه!

تقف إيمان في مكانها وقد تجمدت، فكلما حاولت الاقتراب من خالد أخفى وجهه عنها مشيرا إليها بالابتعاد.

- خالد.. أنت خايف مني أنا كمان؟

ينتبه خالد إلى صوت إيمان فيخرج رأسه من مخبئها بين يديه وبحذر شديد ينظر إليها.

- إيمان؟ انتي!! (ويتحول بعينيه إلي باب الغرفة المغلق ثم إلى إيمان عدة مرات)

- أيوه أنا إيمان يا حبيبي، ليه؟ خايف مني!

- (خالد بتوتر شديد) أنا عايش في كابوس يا إيمان.. كابووووس مبيخلصش.

هنا يطرق أحدهم الباب ويأتي صوته من الخارج مستأذنا في الدخول فترتبك إيمان ثم تنظر إلى خالد بحب وقد أدركت أن توتره يأتي دائما من رؤية الغرباء وتقرر أن تساعده فتخطر ببالها فكرة.

- أقولّه يدخل يا خالد؟ (تبتسم إليه) أنا هقوله يدخل وأنت غمض عينيك وكأنك نايم. (ترسل له قبلة بيديها) اتفقنا؟

يبتسم خالد وقد امتزج قلقه بسعادته بقبلة إيمان ويومئ إليها بالموافقة وقد امتلأ اطمئنانا بعد أن شعر أن هناك من يهتم وربما يتفهم حالته، إنها إيمان، طوق النجاة له دائما وأبدا. ثم يستلقي بكامل جسده على السرير ويغمض عينيه تماما .

- اتفضل يا دكتور عادل.. اتفضل.

يدخل عادل بحذر شديد وعيناه على خالد الذي يبدو نائما تماما.

- هو نام يا إيمان ولا إيه؟

تتسلل كلمات عادل إلى أذني خالد الذي يتعرف على صوت الطبيب عادل جاره وأحد أصدقاء والده وتعود إليه لحظات الحوار الذي دار منذ قليل مع ذلك الشخص الذي أخبره أنه عادل والذي انتهى بسؤال لخالد إن كان لا يعرفه.. فينتفض خالد ناظرا إلى عادل وترتسم على وجهه ملامح مترددة وعلامات استفهام كثيرة.

- دكتور عادل البحراوي؟!

يحاول عادل تفهم الأمر وتدور بخاطره كلمات سعيد وليلى وما حدث بين خالد وحمزة ويبتسم ابتسامة مفتعلة محاولا تناسي ما حدث منذ قليل بينهما.

- (يضحك عادل ساخرا وقد أمسك بطرف ردائه الأبيض) نفس البالطو أهو، وبردو مش فنان تشكيلي.

- أنا سمعت الكلام ده من شوية، كان في ... (يتردد في استكمال حواره مع عادل ثم يحاول تغيير الموضوع وقد أدرك أنه قد اختلط عليه الأمر). أنا هنا ليه يا دكتور؟

- بص يا خالد.. (بجدية شديدة) أنت هنا عشان عندك حالة صرع. (يومئ خالد برأسه متابعا) ومش عايز أضيع الفرصة دي في إنك تحكيلي. (يضع كلتا يديه على خلفية الكرسي المواجه لخالد وينظر في عينيه بتركيز) مالك يا خالد ؟

- يا دكتور أنا.. أناا!.. أنا.

يقف عادل مستقيما ويمشي بخطوات ثابتة في اتجاه النافذة الوحيدة في الغرفة ويفتح ستائرها فتدخل أشعة الشمس لتملأ المكان فيواري خالد عينيه من شدة الأشعة، ثم يلتفت إليه عادل وقد بدا مُضيئا مشعا من أمام النافذة .

- خالد.. أنت عارف إني كنت هنا من شوية؟ (قالها كجملة خبرية واستفهامية في آن واحد). وعارف إنك مكنتش عارفني؟ وعارف إنك عارفني دلوقتي وتقريبا أنت مش عارف إزاي ده بيحصل. (يعود إلى الكرسي من جديد ويتكئ عليه). صح؟

- (ينظر خالد إلى إيمان بيأس) أنت كنت هنا من شوية؟!

- تمام.. (يباغت خالد).كنت شايفني إزاي؟

- مكنتش شايفك أصلا يا دكتور. (يدقق النظر في وجه إيمان وتلمع عيناه وبيأس شديد). أنت كنت هنا؟

- بس أنت كلمتني وانفعلت عليا وقلت كلام كتير، إزاي مكنتش شايفني؟!

تهرب من عيني خالد الدموع ويبدو كطفل يبكي خوفا وذعرا.

- أنا؟! أنت عايز تجنني !!

يتناول خالد زجاجة المياه المعدنية من يد إيمان ويفتحها بتوتر ويشرب منها بنهم حتى تبتل معظم رقبته وملابسه، ثم يترك الزجاجة ويلهث وتخرج أنفاسه سريعة متقطعة حتى تصيبه شرقة تجعله يسعل بشدة، وتحاول إيمان الضرب على ظهره بيديها لإيقاف شرقته فتحمر عيناه حتى يتخلص من شرقته بصعوبة وقد سقطت زجاجة المياه وأغرقت الفراش، ثم ينظر إلى إيمان

- الحمد لله (يبتسم) كنت هروح فيها.. (ينظر إلى عادل)، هو ممنوع التدخين هنا طبعا.. أقصد لو حبيت أدخن يعني أعمل إيه؟

- ممكن تنزل في الجنينة تحت بس.. (يصمت عادل دون أن يكمل جملته)

- (ينظر خالد إلى إيمان ثم إلى عادل) بس إيه؟

- (يحاول عادل تحذير خالد من وجوده بين الناس) جنينة يعني ناس، وناس كتير، دكاترة وممرضين ومرضى وناس جايه تزور المرضى، يعني

مش هتبقى لوحدك. (ثم يغيّر حديثه بسؤال) بس أنت مقولتليش مين اللي كان معاك في الأوضة من شوية؟!

- هو أنا ممنوع أشوف ناس؟! هو (ينظر إلى عادل بدهاء) حضرتك ممكن تسيبنا لوحدنا شويه؟

- أكيد. (ثم يتحرك يائسا في اتجاه الباب وقبل أن يفتحه يلقي بنظره إلى ايمان ويلاحظ خالد ذلك)

تحمر إيمان خجلا بينما يتدارك خالد الأمر سريعا

- لا يا دكتور.. أنت فهمتني غلط. (ينظر إلى إيمان في ارتباك) أنا محتاج اتكلم معاها شوية، ممكن حضرتك تسيب الباب مفتوح.

- لا يابني، مش للدرجة دي. (يخرج من الغرفة) راجعلكم تاني.

بمجرد خروج عادل من الغرفة ينظر خالد إلى إيمان بشوق شديد ويبتسم لها وتبادله الابتسامة وقد زاد خجلها وبضحكتها الرقيقة المعهودة تسأله:

- هو قصده إيه بالبصة دي؟ إيه قلّة الذوق دي !

- (خالد بتوتر) مين اللي كان معانا في الأوضة يا إيمان؟

- الدكتور عادل والدكتور مصطفى. (تنظر إليه وكأنها تفشي سرا عظيما) أنت بجد مكنتش شايفهم؟!

- انتِ شوفتيهم؟! (يسأل ثم يتجاوز سؤاله سريعا) بصي بقى.. في موضوع مهم بصراحة مكنتش عايز أقولك، بس لازم تعرفيه .

- خير يا خالد. (تبدو مطمئنة لتلك اللعبة التي يلعبها خالد بذكاء.(

- انتي فاكرة الظابط اللي حكيتلك عليه؟

- مع إنك حكيتلي من سنة تقريبا بس عمري ما هنساه.. هشام سالم. ماله؟

- (خالد بغضب شديد) بيطاردني في كل حتة، وتقريبا هو بيراقبنا دلوقت، لأ مش تقريبا، أنا متأكد إنه سامع كل كلمة بنقولها، ده جالي البيت أكتر من مره في اليومين اللي فاتوا .

- جالك البيت! أنت بتقول إيه؟

- (يتلفت خالد يمينا ويسارا) كان هنا من شوية وكنت هموته، أنا تقريبا كسرت الأوضة بس ملحقتوش. (تنظر إليه إيمان وتتسع عيناها) آآآه. في الأوضة اللي كنت فيها قبل ما ينقلوني هنا، والغريبة إنه كل مرة بهرب مني. (يتعجب) بيختفي ومبعرفش أمسكه، أنا كنت هقتله لما جالي البيت بس فلت مني بالعافية .

- خالد.. أنا مش قادرة أقتنع باللي بتقوله! أنت متأكد إنه هو؟!

- بصي يا إيمان.. أنا كمان مش مقتنع بس شوفته بعيني، وكان بيعاملني بشكل غريب، والأغرب إن كل الناس بتعامله على إنه شخص تاني!

- لا لا.. بص بقى، فهمني واحدة واحدة عشان أنا كده تهت منك، منين بتقول إنه بيجيلك ومنين الناس بتعامله على إنه شخص تاني؟! ناس مين دول!

- أمي مثلا افتكرته أبويا، معرفش إزاي دخلت عليها! وحمزة (يبتسم متعجبا) تخيلي حمزة صَدَّق!

- صدّق إيه؟

- صدّق إنه أبويا، ولَّا أمي باين (يتلعثم) مش فاكر حمزة ولا أمي ولا أبويا.. هو بيلاعبني .

- خالد.. أنت بتتكلم جد؟!

- أيوه يا إيمان، دول ناس يقدروا يعملوا أي حاجة. (يتلفت يمينا ويسارا). اسأليني أنا.

- خالد.. (تبدو الحيرة في عينيها) اسمعني ...

- اسمعيني انتي.. مفيش وقت، أنا عايز أعرف هو عايز مني إيه !

- يا خالد أرجوك .. (تنهمر دموعها وما زالت ملامح وجهها متجمدة.(

- يقدروا يعملوا أي حاجه صدقيني، كل الناس اللي بتشوفهم دول مجندين (ينظر إليها ببله) آه، زي ما بقولك كده. (يلاحظ دموعها تنهمر على خديها فيمسحها بأصابعه) لأ يا حبيبتي، متعيطيش، إن شاء الله مش هرجع المعتقل تاني أبدا. هما فاكريني هنزل مظاهرات والحاجات دي، .لأ طبعا، أنا مليش دعوة بالحاجات دي خلاص، دا أنا شوفت أيام في المعتقل.. أيام سودة يا إيمان، في ناس ماتت، آه، كانوا معايا، وأصحابي قتلوهم، مستحملوش، بس أنا فهمت اللي فيها وطاوعتهم، أيوه، أمال هما خرجوني

ليه، وحظي كان حلو، تعبت شوية ورحت المستشفى وهناك طلعلي إفراج صحي.

- أنت لازم ترتاح يا خالد.. عشان خاطري.

- إيمان.. أنا هموت وأشرب سيجارة.

سكون عام يعم الغرفة وقد وقفت إيمان بجوار النافذة تفكر بعمق وتحاول استيعاب ما يحدث في حيرة شديدة وقد جلس خالد على الكرسي المجاور للفراش يعبث بهاتف إيمان بعد أن سمحت له أن يجري اتصالا بحمزة. تنظر إليه إيمان بين آونة وأخرى وتتابعه ثم تعود بعينيها إلى النافذة حتى تخطر ببالها فكرة قررت أن تختبر بها حالة خالد وتحسم أمر حيرتها، فتحركت في اتجاه باب الغرفة محدثة خالد:

- خالد.. ثواني وراجعالك.

- (مازال يعبث في هاتفها) رايحة فين؟

- (تبتسم له برقة) ثواني بس وجاية.

تخرج إيمان من الغرفة وتغلق بابها، وبينما خالد يحاول الاتصال بحمزة دون جدوى يلتفت إلى باب الغرفة الذي فتح بشكل مفاجئ وإذ به يرى هشام أمامه والذي دخل إلى الغرفة مسرعا وأغلق الباب من خلفه مُحدِّثا خالد في توتر:

- خالد.. (يرفع كلتا يديه محاولا تهدئة خالد) اهدا خالص ومش عايز أي شوشرة.

يشعر خالد بالارتباك ويحاول تمالك نفسه والسيطرة على خوفه حتى تعود إيمان فيثبت لها أن ما حدثها به منذ قليل حقيقة.

- (يتحدث خالد بهدوء) أنا هادي وزي الفل.. خير، عايز مني إيه؟ أنت ماوركش حاجة غيري !

- أنت بتقول إيه؟! بقولك إيه.. مفيش وقت، اسمعني وبس، وجودك هنا خطر على حياتك، حاول تمشي من هنا في أسرع وقت ممكن. (يلتفت إلى الباب عدة مرات في قلق) فاهمني؟ في أقرب وقت. ربنا معاك .

يخرج من الغرفة مسرعا وقد اتسعت عينا خالد ومازالت معلقة على هشام حتى خرج، ولا يكاد يفهم شيئا مما يحدث، فها هو هشام يحذره من خطر وجوده في المشفى بينما يعلم جيدا أن هشام هو أكثر الراغبين في التخلص منه، وعلى الهاتف يأتي صوت حمزة يكرر نداءَه عدة مرات:

- آلو ..آلووو. إيمان. آلوووووو.

ينتبه خالد لصوت حمزة على الهاتف فيرفعه سريعا محدثا حمزة:

- أيوه يا حمزة. أنت فين؟

- خالد! أنا جنبك هنا.. في حاجة ولا إيه؟ وفين إيمان؟

- مش عارف، خرجت وقالتلي ثواني وراجعه. بقولك إيه تعالالي بسرعة.

يغلق خالد الهاتف ويلقيه جانبا وينكب على وجهه وقد شعر بصداع يكاد يُفجِّر رأسه بينما يدخل حمزة مسرعا إلى الغرفة ولا يكاد يفتح الباب حتى يحدث خالد:

- خالد.. مالك في إيه؟ قلقتني!

ينظر خالد إلى حمزة والدهشة عنوان وجهه المذعور

- حمزة.. أنا عايز امشي من هنا حالا، أنت مش بتقول كنت واقف برة؟ إزاي مشوفتش إيمان وهي خارجة!

- لا ما أنا كنت في الحمام من شوية، أنت عايز تمشي تروح فين؟ مش فاهم!

- يعني مشوفتش إيمان! طيب مشوفتش أي حد خارج أو داخل الأوضة عندي؟

- يا خالد بقولك كنت في الحمام، لسه جاي حالا، أنت كلمتني وأنا خارج من الحمام أصلا.. في إيه يابني!

يُفتح باب الغرفة من جديد لتقطع حديثهما إيمان بخفتها المعتادة:

- بتتودودوا في إيه؟

- (يلتفت إليها خالد) انتي رحتي فين يا بنتي؟

- (تنظر إلى خالد بجدية شديدة) مين اللي دخل الأوضة من شوية؟ أنا لمحته من بعيد، بس كنت رايحة "التويليت"

ينتبه خالد إلى إيمان وينتفض واقفا

- شوفتيه؟ هو ده هشام، صدّقتيني؟ مش بقولك بيطاردني في كل حته.

- هشام سالم؟ الظابط! (بتركيز شديد) بس ده كان لابس بالطو أبيض! أنا افتكرته دكتور عادل ولا دكتور مصطفى!

- (ساخرا) أيوه كان لابس بالطو أبيض، قلتلك يقدروا يعملوا أي حاجة. (يضحك مطمئنا) أنا مش مجنون، هو هشام.

ينظر حمزة إلى كليهما في تعجب ضاربا كفا بكف

- والله مانا فاهم حاجة!

- استنى أنت. (تنظر إيمان إلى خالد باهتمام) وكان عايز إيه بقى المرة ي؟!

- حاجة غريبة جدا.. كان بيحذرني من وجودي هنا، وقاللي لازم امشي من هنا في أسرع وقت ممكن لأني هنا في خطر!

- أنت متأكد إنه هشام ولا شاكك؟

- زي ما أنا متأكد إنك إيمان.

تحدق بعينيها وتتحدث كفيلسوف:

- خالد.. أنا جتلي فكرة، لما يجيلك تاني (تلتقط هاتفها المحمول وتناوله لخالد) صوره بالموبايل عشان أنا شاكه فـ.....

يقاطعها خالد بغضب :

- شاكه في إيه؟ فيا .. مش كده؟ !

- لأ يا خالد. (تقترب منه وتمسك بيديه بعد أن جلست أمامه على السرير) بس الدكتور عادل قاللي إنك بتشوف....

يقاطعها من جديد وقد اشتد غضبه:

ـ تاني الدكتور عادل؟! بشوف ناس تانية. ها؟ وعندي صرع، ومجنون وبشد في شعري، مش كده؟ ردي عليا.. أنا مجنون يا إيمان ؟

تقترب من خالد أكثر وتضع بيديها على خديه محاولة تهدئته وهي تنظر إلى عينيه

- خالد.. أنا مش مصدقة كل ده وعارفه إنك أعقل بني آدم في الدنيا. (تبتسم برقة تخطف قلب خالد) بس عايزه اطمن عليك واثبتلهم إنك أعقل منهم كلهم و...

يقاطعها من جديد وقد أحكم قبضتيه على يديها:

- هثبتلهم وهثبتلكم كلكوا.. أنا موافق، وفيديو كمان، مش صور بس .

- وكمان لازم نخليهم يحطوا حراسة على الأوضة، أنا هبلغ الدكتور عادل. ربنا يستر. (تُقبل يديه قبل أن تتركها) وحياتي خلي بالك من نفسك، وأنت يا حمزة أوعى تتنقل من هنا .

- (يبدو عليه الخجل لوجوده في تلك اللحظات الخاصة بينهما) أنا.؟ آه. أوك.

* * *

الفصل الثامن

فساد

في غرفة مكتبه الخاص بمنزله جلس الدكتور مروان يطالع من خلف نظارته السميكة ملفا أحمر اللون كتب على متنه "خالد سعيد" والذي قد وصله من الدكتور عادل مؤخرا ، وأمامه قدح من القهوة الفرنسية بنكهة البندق تخترق رائحتها رئتاه بلا استئذان، فينظر إليها كعاشق متيم ويتناول قدحها في احترام شديد ويرشف منه رشفته الأولى ثم يتلذذ بمذاقها وقد فتح الملف وفي أولى صفحاته صورة متوسطة الحجم في أعلى يسار الصفحة وقد سردت تحتها بيانات خالد بالتفصيل مابين الاسم والسن والوزن والطول ونبذة عن حياته والتي أخذ يطالعها بهدوء ويتخلل ذلك رشفات عدة من قهوته المميزة حتى يصل بعينيه إلى قرار الإفراج الصحي الصادر بناءً على تقرير من مشفى السجن المركزي، والذي تذيله توقيع الضابط هشام سالم، فرفع عينيه عن الملف ناظرا في سماء الغرفة بعد أن اتكأ على كرسيه الأنيق المتحرك متذكرا تلك المكالمة الهاتفية التي أتته صباحا من مدير المشفى العسكري والذي طلب منه طلبا لم يفهم مغزاه حتى شرح له الملف الأحمر ذلك، فلقد طُلب منه إصدار تقرير محدد عن حالة خالد على أن تتلخص فحواه في أن خالد يمر بأزمة نفسية تحتاج إلى إيقافه في مصحة نفسية تم تحديدها سلفا، وقد طُلب منه تنفيذ ذلك دون نقاش أو جدال،

فالأمر يتعلق بالأمن القومي ولا مجال لإفشاء سره، ومازال يتذكر كلمات مدير المشفى العسكري الأخيرة (هتلاقي قرار الإفراج موقع من هشام بيه سالم) وكان ذلك هو مفتاح الملف الذي كان عليه أن يلتزم بما جاء فيه من تعليمات تخصه، إنها حالة تعذيب أدت الى أضرار نفسية دفعتهم للإفراج عن ذلك ال "خالد" إلا أنهم ما زالوا يحاولون اعتقاله اعتقالا مقنعا! ترى ما خطب خالد؟! ولمَ الإصرار على اعتقاله من جديد! ولماذا لم يتم تحويله إلى تلك المصحة مباشرة! لابد وأن هناك ما منعهم من ذلك.. وها هم يستخدمونني من جديد.. تماما مثلما فعلوا من قبل مقابل خدماتهم التي كانت وما تزال دينا أبديا في عنقي، سوف أبقى مدينا وأسدد إلى ما لا نهاية. ذلك ما دار في رأس مروان وشغله تماما حتى أنه اكتشف أخيرا أن قدح قهوته الفرنسية قد أصبح خاليا تماما، وهنا يطرق أحدهم باب غرفته مستئذنا في الدخول فيسمح له مروان

- ادخل

يفتح الباب شاب في نهاية العشرينات يرتدي زيا عسكريا ويبدو ضابطا صغيرا في قوات الشرطة وهو حليق الرأس بشوش الوجه أنيق ويحمل في يديه حقيبة صغيرة وكأنها تخص متعلقاته الخاصة، إنه عمر ابن مروان المدلل.

- مساء الفل يا دكتور. (مبتسما) مش هعطلك كتير، شكلك مشغول النهاردة، كنت عايز اطمن عليك بس.

- (يغلق مروان الملف بحذر) تعالى يا عمر. أخبارك إيه يا بطل؟

- (ما زال واقفا بجوار باب الغرفة) كله تمام. وأنت؟

- (مروان مبتسما) تمام. شغل شغل شغل، مفيش راحة أبدا. (يخلع نظارته). مش ناوي تشوفلنا يومين كده في أي حتة؟

- بس كده؟ بسيطة، أنا أجازتي بعد أسبوع.. واخد اربع أيام مش يومين بس، يلا بينا. تحب تروح فين؟

- (مروان مبتهجاً) إيه رأيك في ماليزيا؟ بيقولوا الجو هناك خرافي، وأنا بصراحة محتاج أنام في هدوء.

- (عمر متعجبا) أوباااا.. ماليزيا؟ ده كلام كبير، ودي بقى عايزالها قعدة. (ينظر في ساعة يده) إيه رأيك بكرة نتفق ونقرر؟ أنا لازم أأنام عشان نازل بدري أوي بكرة. اتفقنا؟

- أوك. اتفقنا.

يخرج عمر من الغرفة مشيرا بيديه إلى مروان، بينما مازال مروان يحدثه

- بكرة ع الغدا يا عمر.

- (يأتي صوت عمر من خلف الباب بعد أن أغلقه) تصبح على خير.

- وأنت من أهله.

نغمة رقم غريب تدق هاتف مروان فيلتقطه مدققا النظر في شاشته فإذا بكلمة Private تثير دهشته وقلقه فيتردد في استقبال المكالمة ثم يرفع الهاتف إلى أذنه في توتر شديد

- آلو.

يأتيه صوت خشن صارم يتحدث بصيغة أمر لا جدال فيها:

- دكتور مروان.. مساء الخير.

- مساء النور.. مين معايا؟

- أتمنى أكون بتصل في وقت مناسب.. وصلك الملف ؟

ينظر بعينيه إلى ذلك الملف الأحمر ويجيب وقد تلعثم :

- خالد سعيد؟! وصل آه.

- مش هوصيك يا دكتور.. آه، على فكرة عمر هيبقى له مستقبل هايل. (يصمت قليلا) لأنه بيسمع الكلام. (يصمت لفترة أطول). تصبح على خير يا دكتور.

- وأنت من أهل ... (يقاطعه صوت إنهاء الاتصال المفاجئ)!

يضع مروان هاتفه المحمول جانبا ويتناول غليونه البني ويضيف إليه القليل من التبغ، ثم يشعله عدة مرات فيملأ دخانه سماء الغرفة، وتدور بخاطره ذات التساؤلات من جديد!

* * *

تدخل إيمان إلى غرفة خالد في هدوء شديد بعد أن أبلغت الدكتور عادل بوضع حراسة على الغرفة، فإذا بخالد يقف أمام النافذة يتأمل أجواء المشفى ولا يشعر بدخولها والتي تباغته بشكل مفاجئ وتربت على كتفه :

- حبيبي .

ينتبه خالد إلى صوتها ويلتفت إليها مبتسما ابتسامة حزينة، وبين يديه هاتفها المحمول فيناولها إياه في صمت، فتأخذه إيمان بسرعه محدثة خالد:

- إيه.. مالك؟ هو جالك تاني ؟ صوَّرته؟ ها ؟

- (بصوت منكسر حزين) شوفي بنفسك.

تفتح إيمان هاتفها باحثة عن ذلك الملف المرئي الذي وعدها خالد به بتوتر شديد بينما تتساءل:

- أمال فين حمزة؟

تعيد إيمان تشغيل الملف المرئي وقد اتسعت عيناها وهي ترى ما فيه وتستمع إلى أصوات الموجودين فيه، ثم تجلس إلى السرير ويبدو عليها الإنهاك الشديد ويبدو أن ما رأته في ذلك الملف قد أصابها بالإعياء الشديد حتى أنها لم تعد قادرة على الصمود واقفة بينما يتابعها خالد بعينيه وقد لمعت عيناه.

- حمزة راح يدخن ولسه مجاش. صح يا إيمان؟ لسه مجاش. صح؟ ردي عليا. (يزداد انفعالا).

تنظر إليه إيمان وأصوات الملف الذي لم ينتهِ بعد تملأ الغرفة

- مجاش يا خالد.. مجاش. اهدا عشان خاطري.

يجلس خالد بجوارها وقد انهمرت دموعه .

- ما تسيبينيش يا إيمان.. أنا تعبت ومش قادر افهم حاجة، أديني عملت اللي طلبتيه مني.. ها، فهمتي إيه؟ ممكن تفهميني إيه اللي في الفيديو ده؟ ممكن حد يفهمني!

يطرق أحدهم الباب فتسرع إيمان إلى الباب قبل أن يدخل ذلك الطارق محدثة خالد

- نام يا خالد ، نام أرجوك على السرير وغمض عينيك .

يستلقي خالد على سريره ويغمض عينيه بينما تفتح إيمان الباب بهدوء فإذا بالدكتور مصطفى هو الذي يستأذن في الدخول فترحب به بصوت عال:

- اتفضل يا دكتور مصطفى (مشددة على كلماتها).

- مش هطوّل عليكي يا إيمان (قالها وهو يراقب خالد) بس حبيت أبلغك إننا بكرة عندنا موعد مع دكتور مروان استشاري المخ والأعصاب. (يبتسم لإيمان) وياريت تكوني معانا. (يخرج من الغرفة في عجالة) أسيبك بقى عشان يدوب ألحق العيادة .

تلحق به إيمان مسرعة

- بس يا دكتور أنا كنت عايزة حضرتك في موضوع مهم (تستوقفه كلمات إيمان فيلتفت إليها باهتمام ومن ثَم تنظرُ إليه بجدية) مهم جدا .

- يعني مينفعش يتأجل للصبح؟ (تومئ إيمان برأسها رافضة التأجيل فتزداد رغبة مصطفى في معرفة هذا الأمر) حصل حاجة جديدة؟

- آه. (ويتحركان سويا في اتجاه مكتب مصطفى).

يدخل ماهر وعمر إلى مكتب هشام في احترام شديد ويؤديان التحية العسكرية ويبدأ ماهر في التحدث

- تمام يا أفندم.

- (يباغته هشام بسؤاله) إيه الأخبار؟

- قبضنا عليهم يا أفندم وتم فض الاعتصام، وده كشف بأساميهم. (يتقدم خطوتين للأمام ويضع الملف أمام هشام ثم يتراجع عدة خطوات).

ينظر هشام إلى الملف وتظهر أسنانه بابتسامة عريضة وقد استقرت عينه على عمر

- مبسوط معانا يا عمر؟

- (بأدب شديد يرد عمر) كله تمام يا أفندم. شرف كبير الشغل مع سعادتك يا أفندم

- (يضحك هشام ضحكة شريرة) هايل، جمال قاللي عنك كلام كويس.. شد حيلك عشان الترقيات قربت. (يتناول الملف محدثا ماهر) ها.. مالهم بقى العيال دي؟!

- اعتصام يا أفندم، عايزين حرية يا أفندم.. معظم شعاراتهم من النوع ده.

- (يخرج ضحكة أكثر غطرسة) حرية؟ وماله.. ادّيهم شوية حرية. (يبتسم بثقة) وخلي بالك منهم يا حضرة الظابط.. اتفضلوا أنتوا دلوقتي.

- تمام يا أفندم.. أوامر سعادتك.

يؤديان التحية العسكرية وينسحبان إلي باب الغرفة، وقبل خروجهما يستوقفهم هشام.

- عمر.

يلتفت عمر إلى هشام باحترام شديد.

- تمام يا أفندم

- ابقاااا.. (بخبث شديد) سلملي ع الوالد.

- الله يسلم سعادتك يا أفندم.

* * *

تمام الثامنة صباحا في مكتب رئيس التحرير تجلس إيمان إلى يمين ممدوح بينما يتصفح ممدوح أوراق مقال إيمان بعد أن قامت بإنهاء التعديلات طوال الليل، حيث قضت ليلتها كاملة في غرفتها تفكر في أمر خالد وقد قررت تعديل المقال حسب تعليمات ممدوح لها بعد أن خطرت ببالها فكرة خبيثة تسمح لمقالها أن يظهر للنور دون تعديلات وهي تعلم جيدا ما قد تعانيه بعد ذلك وربما قد تفقد فرصتها في العمل كصحفية مستقبلا، وقد تفقد ما هو أكثر من ذلك، إلا أن ما يحدث لخالد جعلها تقرر خوض المعركة بلا خوف، فكيف لها أن تتحدث عن تلك المساحة ما بين الخوف والحقيقة ثم يسكنها الخوف! عليها أن تواجه الحقيقة دون خوف.. وكذلك عليها أن تتحمل عواقب ذلك، فتعديلات ممدوح للمقال تجعله ركيكا ضعيفا لا قيمة له سوى أنه سيكون إضافة جديدة لكم هائل من الموالاة والتبعية لمنظومة فاسدة لا ينقصها "طبَّال" جديد، فأوركسترا الفساد مكتلمة ومكتظة بالعازفين العارفين بحقائق فسادها والمستفيدين من جنيهاتها ومصالحها وتوجهاتها المدمرة لحلم الوعي والإدراك لما يحدث في كواليسها.. لقد قررت خوض تجربة الانتحار من فوق بنايات الفساد وأبراج الظلم وناطحات سحاب التضليل الإعلامي، وهنا يباغتها ممدوح بسؤال :

- أنتي اللي عدّلتيه بنفسك؟
- (بتعجب) آه طبعا.. ليه؟!

- أسلوبك هايل، أنتي عملتي اللي أنا عايزه بدقة شديدة، هايل.

(يبستم ويناولها المقال بعد أن وضع توقيعه على غلافه بالموافقة) ع المطبعه فورا، مبروك يا إيمان.

- (تنظر إيمان إلى توقيعه فوق المقال بانتصار) الله يبارك فيك يا أفندم، متشكرة جدا.

تخرج إيمان من مكتب ممدوح مسرعة وترتطم بعم ناصر الذي يختل توازنه وتسقط منه أكواب الشاي والقهوة وتتحطم جميعا على أرضية الممر بينما تقف إيمان في خجل شديد معتذرة له:

- حقك عليا يا عم ناصر، أنا آسفه بجد، أصلى فرحانة أوي، هدفعلك تمنهم.

- ولا يهمك يا بنتي، تمنهم إيه بس (ينظر الى حطام الأكواب في حزن) ربنا يفرح قلبك.. خير، طمنيني.

تبتسم إيمان بخفة وترفع إبهامها الأيمن بعد أن أحكمت قبضة يديها في ثقة وتغمز له مشيرة إلى انتصارها ثم تنطلق من جديد إلى غرفة التحرير ومازال صوتها يملأ المكان بعد أن غادرته في نهاية الممر:

- ادعيلي يا عم ناصر. سلام.

تصل إيمان إلى غرفة التحرير وتجلس إلى مكتبها الصغير جوار منضدة التصحيح الإملائي، ثم تُخرج من أدراجه مقالها الأصلي والذي قد طبعت منه نسخة جديدة نظيفة لا تعديلات عليها، ثم تضع عليها ذلك

الغلاف الموقع من ممدوح بالموافقة بعد ان أخرجته من تلك النسخة المعدلة بعناية شديدة.. فلقد قررت استغلال فرصة ضيق الوقت الذي يعاني منه العدد القادم من الجريدة والذي لابد وأن يصدر غدا صباحا، فقد خاطرت بالفكرة لعل وعسى ألا يكون هناك متسع من الوقت لدى قسم المراجعة لاكتشاف ما فعلته، وقد يكتفون بتوقيع رئيس التحرير على النسخة الورقية ومن ثم سيقومون بنشر المقال من خلال تلك النسخة الإلكترونية التي أرفقتها بالملف، والتي قامت أيضا بإرسالها بالبريد الإلكتروني إلى سكرتارية رئيس التحرير لتحويلها إلى قسم التحرير بعد موافقة ممدوح عليها والذي فعل ذلك بعد أن اطمأن لتعديل المقال ورقيا.. وهكذا أصبح لديها نسخة من مقالها دون تعديلات وبعد أن أضافت له بعض الإضافات ويعلوه موافقة رئيس التحرير وبأيدٍ مرتعشة تمسك به وتتجه إلى مدير التحرير محاولة إخفاء قلقها.

- صباح الخير يا أستاذ مجدي.

- صباح النور.. أهلا يا بنتي.

- اتفضل يا سيدي.. أخيرا خدت الموافقة النهائية والـ "أبرووف" على إيميل حضرتك من عشر دقايق.

- (يتناول مجدي أوراق المقال وينظر إليه وقد لفت نظره توقيع ممدوح عليه)، أيوه بقى.. ألف مبروك، يارب يكون فاتحة خير عليكي يا بنتي.. أنتي شاطرة وتستاهلي كل النجاح. (تنظر إليه بامتنان) متقلقيش، حالا هيكون في المطبعة. على بركة الله.

- ربنا يخليك يا أستاذ مجدي.. مضطرة أمشي عشان عندي مشوار مهم جدا.

تتحرك إيمان في اتجاه باب صالة التحرير بينما تركت أذنها تتابع مجدي الذي أصدر تعليماته إلى مساعده مدحت:

- مدحت.. خد الإيميل من عندي وحوله ع المطبعه فورا.

- أي إيميل؟!

- بتاع إيمان التهامي.. اسمه (يركز قليلا في غلاف المقال) أيوه.. اسمه "مابين الخوف والحقيقة"

-)يعبث بجهاز الحاسب قليلا ثم ينظر إلى مجدي مشيرا بالموافقة) تمام يا ريس، وصل وبعته خلاص.

- تمام.. كلملي بقى عبد الغفار وفهمه إن المقال في الصفحة التانية عمود "ورد الجنين"

- أوك. (يتجه مدحت إلى الهاتف إلى يساره، وبعد ثوان يبدأ مكالمته بينما ينخفض صوته شيئا فشيئا إذ كادت إيمان أن تُغادر الصالة) أيوه يا عبد الغفار.

تبتسم إيمان ابتسامة خبيثة يعتريها القلق وقد أبطأت من خطواتها حتى تطمئن لنجاح خطتها، ثم تتنهد وتخرج من الصالة.

- ربنا يستر.

* * *

الفَصْلُ التَّاسِعُ

البريء

وقف الجنديان يُدخنان السجائر سوياً على أطراف قرية أبو طويلة بعد أن تناولا غداءهما، وتحديدا في الكمين رقم (3) المستقر عند مدخل القرية الشمالي حيث تمر الدقائق سريعا في فترة راحتهما اليومية من الخدمة، ويحتوي هذا الكمين على عشرين جنديا ممن يقضون فترة تجنيدهم في شمال سيناء، ويرافقهم عدد صغير من الضباط، وقد وُضعت السواتر الترابية والحديدية مُغلقةً الطريق المؤدي إلى القرية والذي تمر به السيارات والشاحانات على فترات متباعدة حيث يتم إيقافها وتفتيشها جيدا، وفي أعلى برج المراقبة هناك يقف أحد الجنود متاهبا ومصوبا سلاحه صوب مدخل الكمين بينما يستمع إلى إذاعة أم كلثوم والتي تردد أغنيته المفضله "سيرة الحب" وقد أخفض صوتها كثيرا كي لا يكتشف أحد أمر المذياع الذي اعتاد الاحتفاظ به في ساعات الخدمة الطويلة محاولاً قتل ملل الزمن هناك فوق البرج وقد احتفظ بصورة ابنته الصغيرة في جيب سترته العسكرية، وكلما ضاق به الحال واختنقت مشاعره من الشوق إليها أخرجها من جيبه وأخذ يحدثها ويحكي لها ما يحدث في عزلته البائسة ويروي لها عن بطولاته وزملائه من أجل ذلك الوطن الطيب الصابر المكافح، وكيف يعرضون حياتهم للخطر من أجل ترابه الغالي، وكان دائما ما يعدها بالعودة قريبا

واصطحابها الى تلك الحديقة التي تحب أن تتأرجح فيها على الأرجوحة الصغيرة، وأنه سوف يشتري لها تلك الحلوى التي تحبها تماما مثلما يفعل كل أجازة في نهاية الشهر والتي اقتربت ولم يتبقّ لها عدا يوما واحدا، فغدا هو آخر أيامه في هذا الشهر، وسوف يعود إليها في أجازة قد تمتد هذه المرة إلى أربعة أيام كاملة بعد أن حصل على موافقة القائد عليها، وقد وقف الجنديان يتبادلان أطراف الحديث حول أحوال القرية وما حدث مؤخرا في الكمين السابق لهم والذي فقدوا فيه زملاءهم برصاص الغدر الإرهابي من جراء تلك الهجمات المتتالية التي يتعرضون لها ما بين حين وآخر من تلك الجماعات المستوطنة بين ثنايا الجبال هناك في المنطقة الحدودية ما بين مصر وفلسطين، والتي يرفضان دائما تسميتها بالحدود الإسرائيلية، فقناعتهم بالقضية الفلسطينية قناعة أزلية لا تسمح لهم بتسمية فلسطين وأراضيها بغير ذلك رغم الاحتلال.

وفي هذه الأثناء تقترب من الكمين سيارتَي دفع رباعي بسرعه هائلة لا تسمح لهما أبدا بالتوقف عند الكمين مما يثير الذعر في أركان الكمين ويتأهب الجميع على قدم وساق لاستقبال السيارتين، وبينما يُشهرون أسلحتهم يفاجأ الجميع بطلقات نارية شديدة وكثيفة ومتتالية تضرب عجلات السيارات، وهنا يبدأ تبادل النيران بين السيارات والكمين، وفي غضون ثوان قليلة تخرج مصفحتان من على جانبي الطريق تحيط بالسيارات من الجهتين وتعلو أصوات النيران في كل اتجاه حتى تستقر إحدى الرصاصات في رأس ذلك الجندي أعلى البرج فيسقط من مكانه على

الأرض ميتا في الحال، بينما تحيط المصفحتان بالسيارات تماما وتجهز عليهما بالنيران حتى يعلن ركاب السيارات استسلامهما بإلقاء الأسلحة خارج السيارة، ومن ثم يخرج من السيارات عدة أشخاص أيديهم مرفوعة إلى الأعلى في حالة استسلام تام، فينقض عليهم رجال الكمين من خلف السواتر ويلقون القبض عليهم في الحال، وتتم السيطرة على العملية الهجومية بسرعة كبيرة، والتي راح ضحيتها ذلك الجندي الذي مات معه حلم الارجوحة والحلوى في جيب سترته مخلفة فتاةً يتيمةً مازالت تحلم بعودة أبيها، كما أصيب اثنان من هؤلاء المستسلمين بطلقات جنود الكمين، ويتم إحباط تلك المحاولة الغادرة بنجاح منقطع النظير.

* * *

في غرفته المظلمة رقد خالد على بطنه وقد فرد ذراعيه على جانبيه وامتدت ساقاه العاريتان فوق بركة من الماء العفن والذي امتزج ببول العساكر ومياه الصرف وبعض بقايا طعام عفن، وكثير من زجاجات متكسرة، وأنابيب حقن طبية فارغة عليها آثار الدماء، وألوان أخرى من بقايا ما قد حُقِن به خالد من مواد مخدرة وتركيبات كيميائية لا يعلم مكوناتها سوى من حقنها له، ودماء خالد تسيل من عدة مناطق في جسده، وبعض جروح غائرة في ظهره، ويبدو عليه آثار سجائر تم إطفاؤها فيه، وقطع في رأسه من الخلف مازال ينزف ببطء وعليه كمية من البن تغطي رقبته، وإلى جوار قدميه فأران كبيران يقرضان أصابع قدمه ويجاهد مستسلما في إبعادهما عنه وقد أنهكه التعذيب حتى النخاع، ويملأ المكان صوت آهاته المتقطعة، وقطرات الماء المتساقطة من خلف نافذة الغرفة بانتظام يثير الغضب، ويحاول جاهدا الاستناد على ذراعيه للنهوض دون جدوى، فلم يعد جسده قادرا على الانتصاب، بينما يُفتح باب الغرفة بعنف وينادي أحدهم:

- هاتووه ع المعمل.

يدخل رجلان ضخمي الجثة يحملان بين يديهما دورقان من الماء الممزوج ببعض الكلور والكحوليات ويصبان على كامل جسده بعنف فيصرخ خالد وينتفض جسده من شدة الألم وتعلو صرخاته، ثم ينقض عليه الرجلان ويحملانه من ذراعيه ويأخذانه خارج الغرفة في اتجاه ما يسمونه بالمعمل

وهو على بعد خطوات من محبسه والذي يبدو أنه المرحلة الأخيرة من التعذيب، ويدخلان به إلى مكان أنيق، يجلس إلى اليمين رجل طويل القامة ذو شارب كثيف الشعر وأمامه جهاز ضخم بعرض الغرفة به عشرات الأزرار وتعلوه شاشة تُشبه تماما شاشة جهاز رسم القلب، وإلى يسار الغرفة كرسي كبير يبدو وكأنه جهازا طبيا وقد خرجت منه عدة أسلاك غليظة وله مسند فيما يشبه ذلك الكرسي عند حلاق الشعر، فيلقون بخالد على ذلك الكرسي، ويظهر رجلان على جانبي الكرسي يقومان بتوصيل عدة أشياء إلى جسده.. اثنان منهما وضعا على جانبي رأسه وآخران في معصميه، ويبدو المشهد وكأنه كرسي كشف الكذب المعتاد رؤيته في أفلام الجاسوسية، في حين يبدو خالد منهكا جدا وقد ارتمت رأسه إلى كتفه اليمين مستسلما تماما، ويفتح عينيه بهدوء لتستقر على وجه الرجل الطويل الجالس هناك أمام الشاشة، ويشعر خالد بآلام شديدة بينما يحدثه ذلك الرجل:

- اسمك؟

يحاول الإجابة على سؤاله بلسان ثقيل متلعثم:

- خا... خالد .

- جاوب بسرعة. (منفعلا) متضيعليش وقتي.. اسمك بالكامل.

- (يومئ خالد برأسه موافقا) خالد سعيد عبد القادر.

- سنك؟

- 25
- تهمتك إيه؟
- مش... عارف
- جاوب.. تهمتك إيه؟
- حرية.
- نعم؟ بقول تهمتك إيه؟
- مصري.

يضغط على أحد أزرار الجهاز أمامه فيصعق خالد بتيار كهربائي قوي ينتفض له جسده وترتعش كافة أطرافه بسرعة شديدة، وتعلو آهاته، ثم يفقد النطق تماما. ثم يضغط الرجل على نفس الزر من جديد فيتوقف التيار، وتعلو صرخات خالد من جديد، ثم يهدأ تدريجيا.

- هعيد عليك السؤال. (بحدة شديدة) تهمتك إيه؟ هترد بكلمة واحدة "تخريب" متفقين؟ ولا الفولت واطي عليك؟
- تخ .. تخريب .
- هايل.. اتقبض عليك فين؟
- مصر.

يضغط الرجل على زر آخر وقد تملك منه الغضب، فيصعق خالد من جديد بتيار أشد عنفا يقف له شعر رأسه، وتنتفض قدماه، بينما يصر على

إجابته ويرددها مرات عديدة أثناء مرور التيار إلى جسده فتخرج كلماته متلعثمة متقطعة إلا أنها واضحة للحاضرين.

- مص... مصر... مصر... أ.. أنا مصـ ... مصري. اتقبض عليا فـ ... ف مصـر... عشان.. بحب ..مصـ ر.

يستمر التيار في جسده حتى يفقد الوعي، ويأتي صوت من السماعات الموزعة في أركان الغرفة صارخا في ذلك الرجل بقوة:

- افصل التيار.. افصل حالا.

يتوقف التيار الكهربائي فيرتمي جسد خالد على الكرسي وقد غاب عن الوعي تماما، ويتجه إليه أحد الموجودين في الغرفة وبين يديه حقنة تحمل سائلا أزرق اللون، ويرفع ذراع خالد ثم يحقنه بها كاملة، وفي بضع ثوان يستفيق خالد وقد تملكه سعال شديد، ومن بين شفتيه يخرج سائل أشبه بالمخاط، فيقترب منه أحدهم وينظف له فمه، ويأتي له بكوب من الماء يضعه على فمه ويجبره على شرب معظمه حتى يستفيق تماما، وينظر من حوله ثم يعود بنظره إلى ذلك الرجل الجالس أمام الشاشة، وتحتد ملامحه، ثم يبصق عليه بعض الماء المتبقي في فمه، ويبدأ محاولات بائسة للتخلص من قيوده دون جدوى، ويصرخ في الجميع بصوت متحشرج:

- موتووووني.. اقتلوني.. مش هقول غير الحقيقة .

يبتسم ذلك الرجل ويتناول منديلا ويمسح وجهه وينظر إلى خالد :

- يابني أنت كده كده ميت.. ها.. ماقولتليش اتقبض عليك فين؟

- مش فاكر، ومدام كده كده ميت يبقى أموت حر. (ينظر إليه خالد بتحد) مش زيك، ولعلمك يا باشا.. الموت بالنسبة لنا مش حاجة هتحصل في يوم من الأيام.. احنا مستنيين الحياة تحصل أصلا!

مرة أخرى يقتحم المكان ذلك الصوت القادم من السماعات بغضب شديد:

- نضفولي دماغه خالص.

ينظر الجميع في الغرفة إلى بعضهم البعض، ثم ينظرون إلى ذلك الرجل المتحكم في كرسي التعذيب والذي ينظر إلى شاشته بتركيز، ثم يبدأ في الضغط على عدة أزرار متتالية ويرفع يديه إلى زر أحمر في أقصى لوحة المفاتيح وقد استقرت عيناه على خالد المذعور، ثم يبتسم له ابتسامة الوداع ويضغط على الزر الأحمر، وهنا تتغير الألوان والأشكال والأحجام أمام خالد ويصيبه دوار عنيف يخرج كل ما في معدته أمام الجميع، ويشعر بهبوط حاد في ضغط الدم وتتلون بشرته بلون أزرق وبنفسجي وكأنما ضرب على رأسه ضربة قاضية أفقدته الاتزان والوعي وجمدت الدماء في أوردته، بل وأفقدته الرؤية لثوان معدودة، ومرت أمام عينيه ألوان عديدة، وبدأ يتصبب عرقا غزيرا، وبعد دقيقة ينتهي به الأمر إلى السكون التام، والشعور بالانهيار النفسي والجسدي،ويفتح عينيه بصعوبة فإذا بوجه الضابط

هشام في مواجهته تماما. ينتفض خالد من نومه مذعورا وهو يردد "ابعد عني.. ابعد عني" وبجوار السرير تقف إيمان وقد كانت على وشك إيقاظه، إلا أنها فوجئت بما حدث له فهمّت إليه وأمسكت بيديه محاولة تهدئته:

- مالك يا خالد.. مالك؟ اصحى يا خالد.. اصحى.

يستفيق خالد من كابوسه على صوت إيمان فيجد وجهها أمامه، ثم يهدأ تدريجيا وقد أحكم قبضته على يدها وهو يتصبب عرقا

- الحمد لله.. الحمد لله أنا هنا.. الحمد لله.

- خير يا حبيبي؟ كابوس تاني؟!

- (يعتدل خالد في جلسته متكئاً على وسادة السرير) دماغي هتنفجر.

يطرق الدكتور عادل باب الغرفة ويدخل محدثا إيمان وخالد:

- صباح الخير.

- (يلتفتان إليه وترد إيمان) صباح النور. (تلفت انتباه خالد إلى عادل) اتفضل يا دكتور عادل.

- ازيك يا خالد.. عامل إيه النهاردة؟ يارب تكون حقنة المهدئ ريحتك ونمت كويس الليلة اللي فاتت.

- مهدئ! آه.. آه. (ينظر خالد إلى إيمان في تعجب) ريحتني جدا.

- طب عال.. جاهزين ولا إيه؟ احنا تقريبا. (ينظر عادل إلى ساعة يده) اتأخرنا عن معادنا.

- (ترد إيمان) آه.. أوك. دقايق وهنبقى جاهزين.
- (يخرج عادل من الغرفة مبتسما) أوكي. هستناكو في الريسيبشن.
- تمام.

* * *

يستقبل هشام اتصالا هاتفيا مفاجئاً على هاتفه المحمول بينما يمر في طرقات إدارة أمن الدولة متجها إلى مكتبه.

- أيوه يا جمال.. (يستمع إلى جمال في إنصات) تمام.. عايز أشوفهم النهاردة، والتقرير هشوفه حالا. (يؤكد على كلماته) أشوفهم النهاردة يا جمال، آه.. أنا في مكتبي ومستنيك. (ينهي مكالمته ويدخل إلى مكتبه).

يدخل هشام ومن خلفه أشرف مدير مكتبه وبين يديه العديد من الأوراق والملفات، ويجلس هشام على كرسيه محدثا أشرف:

- أول ما ترجع مكتبك هاتلي ممدوح الصاوي ع التليفون.
- أوامر سعادتك.
- (ينظر إلى الأوراق بين يدي أشرف) ها.. عندك إيه؟
- تقرير سيادة الوزير جاهز يا أفندم.. مش ناقص غير مراجعة تقرير جمال باشا سعادتك
- هايل .. غيره؟

- تمام سعادتك.. بس لفت نظري في التقرير يا أفندم إن واحد منهم يبقـ

- (يقاطعه بثقة وتخرج كلماته مشددة وكأنه يضع تحتها خطوطا لأبرازها) عصام سعيد عبد القادر.. الولد الهربان من أهله من سنيتن، وأخو الواد بتاع "كفاية" عارف يا أشرف، ده ملوش لزمة، المهم إن أبو دياب وقع.

- (يبتسم ببله متعجبا) بنتعلم من سعادتك يا أفندم.

- (يبتسم بعجرفة) بس عجبني تركيزك. (يشير له إلى باب الغرفة) يلا يا أشرف سيب التقرير وهاتلي ممدوح ع التليفون .

- (يتحرك إلى خارج الغرفة) أوامر سعادتك .

يدق هاتف مكتب هشام بعد دقائق قليلة ليرفع سماعته بسرعة:

- أيوه.. أوك. (ينتظر لثوان) ممدوح بيه، صباح الفل، مش هطوّل عليك.. العيال بتوع عملية الكمين عندي ومعاهم كبيرهم كمان.. آه.. أبو دياب.. آه.. تمام، بقى كارت محروق خلاص، هبعتلك التفاصيل كلها وعايز مانشيت وكام صورة حلوين. (يضحك بغطرسة) آه من حق.. في مجند استشهد، اهتم بيه شويتين (يستمع إلى ممدوح لثوان أخرى) بالظبط كده، دي لعبتك بقى، يلا.. أشوفك يوم الخميس بقى على معادنا .

ينهي هشام المكالمة ثم يتناول دخانه ويشعل سيجارته في تلذذ بينما يلتقط التقرير ويتمعن في قراءته والذي قد تمت صياغته بإتقان شديد،

ويشير التقرير إلى النجاح الباهر الذي حققته قوات الكمين في السيطرة على العملية الإرهابية والقبض على جميع مرتكبيها في وقت قياسي وبأقل الخسائر، وما نتجت عنه العملية من إلقاء القبض على أحد أهم عناصر الإرهاب في شمال سيناء وهو "أبو دياب" قائد التنظيم الجديد الذي نفذ عملية إرهابية منذ أسابيع قليلة أودت بحياة المجندين والضباط في كمين الشيخ زويد الرئيسي، كما أشار التقرير إلى مدى قوة تلك الضربة القاصمة لهذا التنظيم بعد القبض على أهم قادته.. بينما يبتسم هشام ويدور بخاطره ما فعله الشيخ عبادي من خطة محكمة لإسقاط أبو دياب ورجاله بعد أن خدعهم بإقناعهم بالدخول إلى الكمين في ذلك التوقيت الذي هو راحة لمعظم المجندين فيه في حين أنه عقد الصفقة مع الرائد جمال الخولي بإمدادهم بكافة تفاصيل العملية وتوقيتها والتي لم تكن مفاجئة لقيادة الكمين.. بل على العكس، حيث أصبح كمين أبو طويلة مصيدة لأبو دياب ورجاله للتخلص منهم من جهة.. وكذلك لإضافة خدمة جديدة لخدمات عدة قدمها الشيخ عبادي للرائد جمال الخولي، كما أنه منح مقابل ذلك حرية كبيرة في تحرك تجارته للسلاح والمخدرات في سيناء، وهنا يحدث هشام نفسه بابتسامة خبيثة متوعدة

- أنا مبكرهش حاجة قد الخيانة يا شيخ عبادي.

* * *

في صالة الاستقبال في عيادة الدكتور مروان جلست إيمان وخالد وحمزة في انتظار دورهم للدخول إليه بينما سبقهم إليه كلا من عادل ومصطفى منذ ما يزيد على النصف ساعة، وذلك بعد معاناة كبيرة في إخراج خالد من المشفى وإحضاره إلى عيادة مروان حيث أصابته تشنجات وانتابته حالات عدة من الصرع والانفعال كلما وقعت عينه على غرباء رافضا تماما رؤيتهم، مما اضطرهم إلى وضع نظارة سوداء قاتمة على عينيه تحجب رؤيته للآخرين أثناء انتقاله من المشفى إلى العيادة حيث توصل مصطفى إلى هذا الحل لعزل خالد عن العالم الخارجي والحفاظ على حالته مستقرة دون تشنجات بعد تأكده من أن خالد يرفض جميع من حوله خوفا من رؤية هشام مرة أخرى، وخاصة بعد أن روت له إيمان ما حدث مع خالد وطالعته الملف المرئي الذي صوره خالد بنفسه والذي حصل على نسخة منه كي يضيفه إلى ملف حالة خالد غير المفهومة حتى الآن.. وهنا يخرج عادل من غرفة مروان مشيرا إلى إيمان بالدخول واصطحاب خالد إلى داخل الغرفة، وتهم إيمان بالدخول ممسكة بيد خالد بينما يشير عادل إلى حمزة بالبقاء في صالة الانتظار.

- أهلا يا خالد. (ينظر إلى ايمان مشيرا إلى الكرسي في يمين مكتبه) من فضلك قعديه هنا.. أيووه هنا. شكرا. اتفضلوا بقى حضارتكو انتظرونا برة، خليك معانا أنت يا دكتور مصطفى.

- إيمان.. متخرجيش، خليكي جنبي.

- (مروان مبتسما) خلاص خليكي يا إيمان.. إيه الأخبار يا عم خالد؟

- الحمد لله. هو أنا ممكن أقلع النضّارة دي ؟ اتخنقت من الضلمة .

- آه طبعا تقدر، بس لحظة قبل ما تقلعها، أنا الدكتور مروان استشاري أمراض المخ والأعصاب.. فاهمني؟ لو شفت أي حد مش حابب تشوفه حاول تستوعب إن الحد ده في خيالك أنت بس، والحقيقة اللي قدامك غير اللي أنت شايفه، أما بقى لو شفت حد متعرفوش أصلا (ضاحكاً) يبقى غالبا هتكون شايفني أنا. اتفقنا؟

يومئ خالد بالموافقة وقد رفع النظارة عن عينيه وأخذ يفركهما بيديه مستقبلا ضوء الغرفة بانزعاج شديد بينما يترقب الجميع بحذر، ثم أخذ ينظر إلى الحاضرين بقلق شديد محدثا مروان:

- حضرتك الدكتور مروان.. صح؟

- (مروان مبتسماً) هايل، وده الدكتور مصطفى، ودي... دي... (ينظر إلى ايمان) فكريني باسمك يابنتي؟

- إيمان يا دكتور .. إيمان.

- أيوه.. دي إيمان، كده أنت طبيعي جدا، في أي مشاكل لحد دلوقتي؟

- لا تمام. (يفرك خالد رأسه بأصابعه) أنا.. ممكن أدخن؟

- ممكن، دخن ياسيدي، خد سيجارة من علبتي كمان. (يضحك بلطف) ولا مبتغيرش؟

- مش هتفرق، أنا بقالي يومين مدخنتش .

يشعل خالد سيجارته بشوق شديد ثم ينفث دخانها بغزارة ويتنهد بسعادة.

- التقارير اللي قدامي كلها بتأكد إنك محتاج تتكلم كتير، ياترى عندك استعداد؟

- أتكلم؟ أتكلم في إيه؟! ما أنا بقالي سنين بتكلم ومحدش سامعني.

- تتكلم في اللي نفسك تتكلم فيه، اللي جواك كله، اللي خايف تقولو واللي خايف تصدقه.

يبتسم خالد وينظر إلى مروان بسخرية:

- على فكرة أنت دكتور شاطر. (ينظر إلى مكتب مروان بتوتر) ممكن سيجارة كمان؟

- خد راحتك، بس أرجوك خلينا نقعد لوحدنا عشان تاخد راحتك أكتر.

- يعني إيه؟

- هفهمك. (ينظر إلى إيمان) ممكن تسيبينا شوية؟

تبتسم إيمان وتنظر إلى خالد وتترك يده بصعوبة بينما ينظر إليها خالد وقد امتلأت عيناه بالدموع ثم ينظر إلى سيجارته وقد استسلم لخروج إيمان من الغرفة، وتنسحب إيمان بهدوء محدثة خالد:

- أنا مستنياك برة.. ربنا معاك.

يتحرك مصطفى إلى الكرسي في نهاية الغرفة تاركا خالد ومروان سويا عند المكتب بينما يستطرد مروان :

- بص يا خالد.. أنا هقولك شوية حاجات يمكن تخضك، بس عايزك تمسك أعصابك وتسمعني كويس أوي.. تشرب قهوة؟

- (تطفة الدهشة في عيني خالد ويزداد توتراً) قهوة؟ آه. ياريت.

- أنا بحب أكون صريح مع المريض بتاعي لأن ده أقصر طريق للعلاج، مواجهة المريض بحالته. (ينهض من كرسيه ويتحرك في اتجاه الكرسي المواجه لخالد ويجلس عليه وقد أشعل سيجارة) اللي جالك في أوضتك وجابلك الفطار كان والدك وكنت هتموته، واللي جالك بعدها كان حمزة صاحبك، واللي جالك بعدها كمان كان الدكتور عادل، واللي قالك إنك لازم تمشي من المستشفى عشان وجودك خطر على حياتك كانت إيمان، وكان اختبار ليك من الدكتور مصطفى، وقبلها دخلك الدكتور مصطفى، كل دول كانوا بالنسبالك حد تاني، كلهم كانوا بالنسبة لك هشام، هشام سالم، وحتى أما كنت نايم على رجل والدتك كنت شايف أبوك حد تاني، وكنت متماسك في المرة دي، ولولا إنك كنت محتاج تنام كان ممكن تتصرف بعشوائية وتعمل معاه نفس اللي عملته أول مرة.

الحقيقة يابني إن هشام مجالكش ولا مرة في دول غير في خيالك. (ينهض من مكانه من جديد ويتحرك في اتجاه المكتب ليلتقط الملف) علمياً أنت مصاب بحالة تخليك مش شايف غير هشام، وعلى فكرة أنت اللي قلت كده.

(يلتقط هاتفه المحمول ويفتحه) شوف الفيديو ده، عارفه طبعا؛ لأنك أنت اللي صورته، وده كمان كان فكرة دكتور مصطفى اللي بذل مجهود كبير عشان يفهم الحالة.

يتنفض خالد واقفا وينظر لمروان ومصطفى في ذهول ثم يهذي بكلمات تكاد تكون غير مفهومة ويُطفئ سيجارته بتوتر وانفعال.

- مستحيل.. أنا عملت كده في أبويا وأمي؟! أنا!!

- (يقاطعه مروان) احنا اتفقنا نبقى هاديين تماما، ده لو عايز تخلص من الكابوس ده.

- أرجوك فهمني أكتر إزاي أشوف هشام وأرجع أشوف إيمان مثلا؟ إزاااي؟!!

- واضح جدا إن الصوت له علاقة بحالتك، يعني لو سمعت صوتي قبل ما تشوفني هتشوفني زي ما أنا، وخصوصا لو أنت عارف صوتي قبل كده، لكن أعتقد مجرد إنك سمعت صوت غير هشام هتشوف الشخص الحقيقي عشان كده مثلا شفتني حد غير هشام لأن صوتي مختلف عن صوته، لكن لو كنت شفتني قبل ما اتكلم وتسمع صوتي كان الموقف هيتغير تماما.

ينبته مصطفى لتحليل مروان وتصيبه حالة من الانتباه الشديد لتلك الكلمات ويهم بفتح اللاب توب الخاص به فورا، ويبدأ عمليات بحث جديدة على صفحات الشبكة الإلكترونية بعد أن خطرت بباله فكرة إصابة خالد بحالة من المتلازمات النفسية التي قد تصيب بعض الأشخاص والتي

نادرا ما تحدث، وينتقل من صفحة إلى صفحة ومن مقال إلى تقرير، ويمعن في القراءة والتركيز بينما ما يزال مروان يواصل حواره مع خالد إلى أن ينتفض صارخا بصوت عال وقد نسي تماما وجوده في عيادة الدكتور مروان، وفقد الشعور بالمكان والزمان تماما.

- فريجولي؟؟!!

هنا يتوقف الزمن وينتبه كل من خالد ومروان لصرخة مصطفى ويتوقف حديثهما وينتبهان إليه وقد نزلت كلمة مصطفى على مسامع مروان كالصاعقة المدوية بينما وقف خالد منتبها لكليهما دون أن يفهم ما يحدث ويردد في بله:

- فريجولي؟ إيه فريجولي دي؟؟!!!

* * *

الفَصْلُ العَاشِرُ

الصفعة

جلس هشام في مكتبه يطالع الجريدة الصادرة صباح اليوم مُنتشيا وهو يقرأ عناوينها الرئيسة في صفحتها الأولى والتي أعلنت عن إلقاء القبض على القيادي الكبير في التنظيم الجديد بشمال سيناء.. أبو دياب، بعد إحباط عملية إرهابية استهدفت الكمين رقم (3) واستشهاد المجند "محمد عصام" وقد أشار الخبر إلى أنه نفس ذلك التنظيم الذي نجح في آخر عملية إرهابية في تدمير كمين الشيخ زويد منذ أسابيع، كما ذكر المقال الجهود المبذولة من قوات الأمن بقيادة اللواء هشام سالم والرائد جمال الخولي والذي أثنى عليهما كثيرا، وذكر أيضا ما ينتظرهم من ترقيات ومكافآت لما قدموه لمصر من بطولات، وكذلك ما ينتظر المجند الشهيد من تكريم وجنازة عسكرية مهيبة لما قدمه من تضحيات فداء للوطن، وفي خبر آخر ذُكرت نفس الأسماء ونفس البطولات في إحباط عمليات تخريب وسط العاصمة، وتحديدا أمام نقابة المحامين بعد إلقاء القبض على العناصر المُخرّبة وتطهير العاصمة من مخططاتهم الدنيئة لإتلاف أموال الدولة وتخريب المصالح العامة وتهديد الأمن القومي، وفي نشوى وانتصار يتنزه هشام في صفحات الجريدة فيمر بمقالات تشيد ببطولات قوات الأمن وقيادتها الحكيمة ورسم كاريكاتيري يصور أعداء الوطن وكيف يتم التعامل معهم بحكمة ونزاهة من أجل إعلاء

كلمة الحق حتى تقع عينه على مقال تحت عنوان "ما بين الخوف والحقيقية" في عمود "ورد الجنين" الأسبوعي والذي لفت نظره جملة كُتبت تحت عنوان المقال "كتبت إيمان التهامي" ويسرح للحظات في هذا الاسم الذي يتذكره جيدا.. فتلك هي الصحفية الشابة المتمردة والتي تربطها بذلك الشاب عضو حركة كفاية علاقة وطيدة.. فيقرر قراءة باقي المقال بعد أن قرأ المقدمة وازداد اهتمامه بقراءته بعد أن أخذته الجملة الأولى من الفقرة الثانية في المقال..

ورد الجنين

"ما بين الخوف والحقيقة"

كتبت إيمان التهامي

إن أفضل اللحظات التي تمر بها في حياتك هي تلك التي تعي فيها جيدا ما هي أسوأ اللحظات التي مررت بها.. فعندما تدرك أن مريض السرطان ليس لديه سوى خيار الإرداة للشفاء وبعض المركبات الكيماوية المؤلمة ستدرك أيضا أن ما تعانيه قد لا يعدو كونه حَكَّة بين ثنايا جلدك، وما زال لديك العديد من الخيارات للتخلص منها ،كذلك تبدو لك لحظات الخوف، فلا يجب عليك أن تخشى الظلام بينما تجلس في وضح النهار على أحد المقاهي، والأحرى بك أن تخشى خيانة النهار على أن تخشى صراحة الظلام، وما أقسى الخوف من المجهول، وما الخوف إلا مجهول تخف وطأته كثيرا عند وقوع مسبباته، وربما تقهر مخاوفك من شيء ما عندما تواجه حقيقتها والتي لن تكون بأي حال من الأحوال أكثر قسوة من مخاوف مريض السرطان، عليك أن تواجه الحقيقة وتحتفظ بتلك الدقائق التي مرت خوفا،

فحتما ستحتاج إليها كي تفكر في الحقيقة. ما بين الخوف والحقيقة تمر أسوأ اللحظات، بينما تمر أفضلها ما بين الحقيقة والحلم، علينا أن نحلم دون خوف، أو أن نبقى في براثن خوفنا دون حلم .

إنهم يفسدون الحاضر والماضي والمستقبل، يقتلون الرغبة في الحلم فلا يتبقى مكان سوى للكراهية والحقد والذل والمهانة، هؤلاء القابعون في مراكز السلطة يأمرون وينهون كما أمر الله، لكنهم يأمرون بما نُهي عنه، وينهون عما أُمرنا به، لقد أفسدوا الحياة عبثا، وتركوا لنا في نهاية الأمر بعضا من بقايا بشر يتنفسون فسادا، ويأكلون أمراضا، ويشربون قهرا وظلما. يحافظون على كراسٍ لم يعد لها أرض تستقر عليها. يعبثون بمقدرات كتبت لنا خيرا فاستبدلوها دماء. لم يعد لدينا موضع قدم لحياة كريمة، لقد ابتلعتنا براثن الخوف وما تبقى لنا سوى المقاومة بأيد مرتعشة، وقلوب مرتجفة، وعقول سوداء لا زرع فيها ولا ماء. أصبح القتل منبرا، والظلم مسجدا، والقهر صلاة، والذل عبادة، والخوف عقيدة، أصبحوا يكذبون بكل صدق، ويخدعون بكل شفافية، ويحتالون بكل أمانة، ويخونون بكل إخلاص، ويقتلون بمنتهى البراءة، إلا من رحم ربي، وهؤلاء المرحومين لا يسمح لهم غالبا بالتواجد في تلك المراكز، وربما أن بعضهم يتواجد، وهذا ما قد يتبقى من بصيص قد يفتح بابا للأمل المعدوم، ولكن عليهم أن يعوا جيدا أن ما سبق ذكره من يأس مُتفشٍ بين جموع الشباب لا يعني نهاية الطريق، إنه شرارٌ لثورة لا محال، وبصيص حرية لا جدال، تماما مثل الورم الخبيث.. ينتشر ويتفشى فيقتل صاحبه، ولسنا أصحابه، إننا أدوات جراح ماهر قادر على استئصال أورامهم من جسد الوطن المريض، ومن بينهم سوف يدنو لنا رجال يؤمنون بأحلامنا، لا أشباه رجال يقطعون أرحام التاريخ والمكان والزمان .

انظروا معي في تلك المقاهي القديمة وعلى أطراف المدن وبين ثنايا شوارع الوطن وعلى ضفاف النيل الحزين وخلف الأبواب المغلقة في عشوائيات القاهرة الصامدة، تابعوا ما يحدث هناك، وأنصتوا لأصوات الجوعى، وانتبهوا لافتراس الفقر لأجساد فلذات أكبادهم، غوصوا في طرقات المصالح الحكومية، وافتحوا أدراج موظفيها وعقول مرتاديها وملفات مستفيديها. استخدموا قلوبكم وحواسكم جميعا، واشعروا بالمأساة، ذوقوا خبزنا، وارتشفوا مياهنا، وتنفسوا سرطاننا، تجولوا في ممرات مشفياتنا، وبين مقاعد تلاميذ مدارسنا، اقرؤوا ما كتب على جدران حوارينا، تنسموا رائحة الألم في صبار معيشتنا، افتحوا زنازين مخافرنا، واحفروا في قبور موتانا، بل وشقوا عن صدورنا، تسلقوا فوق جبال همومنا، قفوا هناك فوق قمة البؤس والصبر والقهر وانظروا ونظِّروا، تحاوروا، تناقشوا واختلفوا وتعاركوا، واتركوا لنا قمامة الثقافة، ونجاسة السياسة، وتيه المسار، وخيبة القرار، وسوء الإدارة والإرادة.

إن ما فعله "هـ س" في المواطن "خ س" وما فعله "م ص" في المواطن "أ ت" خير دليل على أننا نعاني فقرا مدقعا في الأخلاق، وانخفاضا مرعبا في منسوب الإنسانية، وانهيارا جارفا في جينات الانتماء، فكيف يقوم ذاك في تدمير مستقبل هذا وكلاهما ينتمي لنفس الجذور! لقد تخاصمت الفروع، وتباعدت الجذور، وأصبحنا شجرة تثمر نبتا قاسيا لا حياة فيه، ترفض حباته النضوج، وتتلون أوراقه بلون أحمر بلا رحمة.. دعونا نخبركم بما نعانيه، اتركوا لنا سطرا فارغا نكتب فيه لكم، افتحوا لنا بابا يدخل منه الضوء، لا تتركونا في ظلامنا نضرب يمينا ويسارا، ويقتل بعضنا البعض خوفا من الظلام! أضيؤوا لنا شموع المستقبل.. توقفوا عن عقد الاتفاقيات والمؤامرات الخائنة. نحن هنا في قاع المفرمة نكاد أن ننقرض! تقطعت ملامحنا، واختفت أفكارنا،

واندحرت أحلامنا، وانتهت قصتنا بنهاية مفتوحة لا معنى لها.. أو كما قال بعضنا خلف قضبان الظلم "افتح.. بنموت"

يلقي هشام بالجريدة بغضب شديد، وبانفعال غير مسبوق يرفع سماعة هاتفه محدثا أشرف:

- هاتلي الزفت ممدوح الصاوي ع التليفون حالا. (ثم يغلق السماعه بغضب يكاد يكسرها).

* * *

في المصحة النفسية على أطراف القاهرة والتي أمر مروان بنقله إليها لعزله عن العالم الخارجي وكذلك تنفيذا للتعليمات التي صدرت له، وتحديدا في الغرفة "66" يجلس عادل ومصطفى بينما يستلقي خالد على سرير وقد غط في نوم عميق بعد أن تم حقنه بمهدئ من جراء تشنجاته المستمرة وإصابته بحالة صرع متقدمة لم تصبه من قبل، ويقف الدكتور مروان يطالع بعض التقارير الطبية والأوراق بين يديه محدثا كليهما بينما يتابعانه باهتمام شديد:

- الحالة مطابقة تماما لمتلازمة "فريجولي" ومستحيل كانت تيجي في بالي، لكن الدكتور مصطفى عاصر الحالة من فترة و واضح إنه تعمق فيها جدا وده اللي وصله للنتيجة دي، احنا يا جماعة قدام حالة نادرة جدا.. هايل يا دكتور مصطفى.

- أشكرك يا دكتور.. بس تحليل حضرتك النهائي له دور كبير في النتيجة دي.

يتدخل عادل بتركيز كبير متسائلاً:

- ممكن بس تفهموني إيه هي متلازمة "فريجولي"؟

- أعتقد الدكتور مصطفى أجدر مني في شرح الحالة.. اتفضل يا دكتور

يبدأ مصطفى في شرح الحالة لعادل بعناية وتركيز:

- العفو يا دكتور مروان.. احنا تلاميذك. (ينظر إلى عادل ويتابعه مروان باهتمام بعد أن جلس على أحد الكراسي) شوف يا دكتور عادل.. حسب التقارير والمقالات وتاريخ المتلازمة نقدر نقول إنها حالة اضطراب نادر، بيصيب الشخص ويخليه يتخيل أوهام، يتوهم إن جميع الأشخاص المحيطين بيه هما أصلا شخص واحد بيغيّر شكله أو يتنكّر بطريقة متقنة جدا، ويفضل يطارده ويزعجه طول الوقت سواء كان الشخص ده من نفس الجنس أو من الجنس التاني، وفي الأغلب المصابين بالحالة دي بيكون ليهم تاريخ للإصابة بحالات معينة متعلقة بالدماغ زي مثلا السكتة الدماغية أو الزهايمر أو إصابات في الرأس، وغالبا بيكون الشخص اللي بيطارده ده هو أصلا سبب رئيسي في حدوث الاضطراب ده، وأعراضها بتتلخص في الصرع والهذيان والهلوسة أحيانا.. يعني مثلا فقدان ذاكرة مؤقت، عجز في الرصد الذاتي والوعي الذاتي، الاندفاع ومشاكل الذاكرة البصرية كمان.. وطبعا منها النوبات والتشنجات،كل ده بقى بيبقى نتيجة خلل ما حصل في الدماغ وتحديدا في أحد وظائف المخ الإدراكية، لكنها متلازمة نادرة جدا، ونسبة حدوثها ضعيفة جدا. (يبتسم) يعني نقدر نقول إننا دخلنا التاريخ احنا وعم خالد.

- مممم... (عادل متسائلا) وياترى كلمة فريجولي دي معناها إيه علميا.. أو اختصار لإيه بالظبط؟

- (يضحك مصطفى بثقة) لا لا لا.. ملهاش أي أصل علمي ولا اختصار ولا حاجة؛ لأن الاسم ده قصته غريبة شوية، ده اسم ممثل إيطالي

كان اسمه على ما أذكر "ليوبولدو فريجولي" وده ياسيدي كان ممثل مسرح مشهور بقدرته الفائقة على تغيير شكله وملابسه بسرعة غريبة، وعلى المسرح، وكمان قدام الجمهور، من غير حتى ما يخرج للكواليس، وتقريبا في نفس الفترة دي تم اكتشاف أول حالة من المرض ده لبنت كان عمرها 27 سنة، وعشان كده تم ربط الحالة باسم الممثل ده، والكلام ده غالبا كان في بدايات القرن ال 19.

- (عادل متعجبا) فعلا؟

- فعلا يا دكتور .

يخرج الجميع من غرفة خالد إلى بهو غرفة الانتظار في المصحة النفسية حيث يجلس سعيد وليلى وحمزة للاطمئنان على خالد، وهنا بهم سعيد وحمزة بالوقوف بارتباك وقلق، بينما جلست ليلى تبكي وتدعو الله بالشفاء لخالد، ويتساءل سعيد:

- طمني يا دكتور.. خالد أخباره إيه؟

- اطمن يا عم سعيد.. خالد بخير. (يخلع عادل نظارته السميكة) وجوده هنا أحسنله بكتير، وإن شاء الله مش هيطوّل، المهم إنه يبعد عن الضغوط والناس ويلتزم بالعلاج. (يشير إلى مروان) الدكتور مروان كتبله شوية أدوية مع جلسات العلاج النفسي وبإذن الله هيرجع أحسن من الأول. (ينظر إلى ليلى التي لم تعد قادرة على الوقوف من شدة الإعياء) اطمني يا حاجة، ابنك زي الفل.

- (يبتسم سعيد متفائلاً) ربنا يطمنك يا دكتور.. يعني ممكن يخرج امتى؟

يستقبل مروان سؤال سعيد باهتمام ويبادر بالاجابة:

- ده صعب تحديده دلوقتي، كل ما كان ملتزم وإيجابي ومتعاون كل ما كانت فترة وجوده هنا قليلة. (يبتسم بفخر) واحنا عندنا هنا فريق طبي على أعلى مستوى، ويفضلّنا بقى توفيق ربنا ودعواتك يا حاج سعيد. (ثم ينظر يمينا ويسارا وكأنه يبحث عن شخص ما) أمال فين البنت اللي كانت مع خالد في العيادة. (يعبث بأصابعه في رأسه قليلا) أفتكر اسمها إيمان. هي فين؟

يرتبك حمزة ويبدو علية التوتر محاولا تغيير الموضوع بسرعة بديهة:

- هي حالة خالد إيه بالظبط يا دكتور؟

- (يبستم بشفقة) لاااا.. ده موضوع يطول شرحه، الدكتور مصطفى يبقى يشرحلك بقى. (ينظر في ساعة يده) مضطر أسيبكم دلوقتي.. آه.. ومتنساش يا دكتور عادل حد يبقى يعدي على الريسبشن.. سلامو عليكو.

ينظر سعيد إلى ليلى ثم إلى حمزة وقد فرد ذراعيه على جانبيه متسائلا في تعجب واندهاش:

- إيمان مين؟!

* * *

في مكتب المستشار الدكتور منصف الشريف المحامي المشهور جلست "منى السرجاني" المحامية حديثة التخرج، والاستاذ "علاء الشريف" المحامي يتجاذبان أطراف الحديث مع الدكتور منصف حول قضية الصحفية الشابة إيمان التهامي التي تم إيقافها عن العمل وشطبها من النقابة وتحويلها للتحقيق بعد أن نُشر لها مقال صارخ في وجه الفساد، وكانت نتيجته تجميد نشاط المؤسسة الصحفية التي تعمل لديها بقرار سيادي، وإحالة رئيس التحرير ورئيس مجلس الإدارة ومدير التحرير وبعض عناصر الجريدة المنوط بهم تحرير أعدادها ومراجعتها إلى التحقيق الإداري، حيث تبين أن هناك تلاعب ما تم في إجراءات نشر هذا المقال، فلقد ذكرت التقارير والأخبار أن ما حدث كان بنيّةٍ مبيتةٍ من الصحفية نفسها بعد أن قررت استغلال الأخطاء الإدارية في نشر المقال كما هو دون أخذ التعديلات التي أقرها رئيس التحرير في الاعتبار ، وحيث أن فحوى المقال كانت تتمثل في اتهامات مباشرة لمراكز السلطة والقيادات السياسية بتخريب الحياة السياسية والاقتصادية والعبث بمستقبل البلاد دون ذكر أسماء لهم إلا أنها استخدمت الأحرف الأولى في التشهير ببعض المسؤولين والذين تناوبت عليهم الصحف والمجلات باستنتاج شخصياتهم، كما أن المقال أثار ضجة كبرى في الرأي العام ما بين مؤيد ومعارض، وفَتَحَ ملفات كثيرة قديمة وجديدة حول التعذيب في المعتقلات، وسوء سمعة بعض القادة الأمنيين، كما أشارت بعض الصحف إلى توقعات بصدور قرارات عنيفة تجاه بعض المسؤولين لتهدئة الرأي العام والتضحية بهم.

- صدرت تعليمات باعتقال إيمان التهامي. (تقرأ منى رسالة وصلتها على هاتفها المحمول) لأسباب.. اه... لأسباب تمس الأمن العام.

- (يضحك منصف ساخرا) عارف عارف. (يشيح بيده يائسا) ما هما كده، كل ما حد يقول كلمة حق يتمحكوا في الأمن العام.

- (يتدخل علاء متسائلاً) بس أنا بردو مفهمتش.. حضرتك طلبت المعلومات دي كلها ليه؟!

- (ترد منى بثقة وحكمة) واضحة يا علاء بيه، الأستاذ منصف متعاطف مع البنت دي، وأعتقد (مشددة) أع ع عـ تقد إنه ناوي يدافع عنها. (تنظر بنصف عينها إلى منصف وقد رفعت حاجبها وبحذر تسأله) صح ولاااا؟

- (يضحك منصف إلى عينيها بنظرة أب حنون) أهي فراستك دي هي اللي هتعمل منك محامية مخضرمة.

- Yessss (تبرز إبهامها الأيمن في وجه علاء بإشارة التأكيد والموافقة المعهودة).

- وأنا بقى زي الأطرش في الزفة.. مش كده؟ ما تفهمونا يا جدعان.

- هتفهم كل حاجة يا علاء.. (يضع منصف نظارته معلقة على أنفه ويجمع أوراق الملف الذي أعدته له منى عن قضية إيمان ويناولهم جميعا إلى علاء بيد ممتدة واثقة) حضرلي بلاغ للنائب العام ضد اللواء هشام سالم بتاع أمن الدولة. (ينظر إلى علاء بتركيز) والتهمة طبعا عارفها.. ها؟

(يلملم أوراقه ويضعها في حقيبته السوداء ويعيد نظارته إلى بيتها البني الأنيق، ثم يقف مرتديا سترته السوداء ويعيد ربطة عنقه إلى منتصف رقبته تماما بعناية ويتحرك مسرعا إلى باب الغرفة محدثا علاء ومنى) قدامك ساعتين يكون نص البلاغ جاهز للتوقيع.. راجع "منى" في أي تفاصيل تحتاجها، وأنتي يا منى.. عايز أعرف كل حاجه عن "خ س" سلام.

- (تُتمتم وقد أطلقت بصرها في المطلق البعيد) تمااااام.. تمام أوي.

* * *

على شاشات المقاهي في شوارع القاهرة تتسلل إلى الآذان الموسيقى الصاخبة لمقدمة البرنامج الأسبوعي "حديث الساعة" والذي يقدمة الإعلامي "مطيع مراد" والذي ذاع سيطه مؤخرا بعد أن أصبح رائدا في فتح ملفات الفساد علنا للنقاش على الهواء مباشرة، بينما تشوبه الشكوك في مصداقيته بين الكثيرين من الشرفاء بعد أن كان منذ وقت ليس بالبعيد يدافع بشراسة عن رموز الفساد، وقد اشتهر آنذاك بافتعال المداخلات الهاتفية المدبرة، واللقاءات والحوارت الممنهجة والمتفق على مسارها ومجرياتها مسبقا، فكانت حلقات برنامجه أشبه ما يكون بالسيناريوهات المتقنة ذات الحبكة الاحترافية، حتى أنه أصبح في ميزان الكثيرين ليس إلا وقتا للترفيه والضحك، فأصبح جمهوره يتابعه على طريقة "إذا أردت أن تعلم ما هي الحقيقة فعليك أولا أن تعلم الباطل" فكان باطلا حقا، حتى أن متابعيه أصبحوا يثقون تمام الثقة أن جرأته في فتح ملفات الفساد ماهي الا سيناريو جديد لإقناعهم بأن هناك ثمة حرية ينعمون بها، ففتح الملف

الفاسد لن يؤدي بالضرورة إلى محاسبة الفاسدين، فغالبا ما يكون سبيلا لإقفالة في نهاية الأمر ببراءة المتهمين، ومن ثم إخماد نيران الغضب المستعرة، فلقد اعتاد الشعب الطيب على الغضب من أجل حادث راح ضحيته العشرات بإهمال المسؤولين، ثم البكاء من أجلهم على أنغام أغنية تنعيهم، ودائما ما ينتهي الأمر بتبادل الشتائم والألفاظ النابية والشماتة بين جماهير الأهلي والزمالك بعد مباراة غسلت رؤوسهم وطهرتها من كل ما قاله مطيع وضيوفه !

يظهر "مطيع" بملابسه الأنيقة وابتسامته المعتادة ومقدمته النارية كالعادة لجذب الملايين إلى تلك الحلقة الجديدة من برنامجه، والتي يراهن على أنها سوف تحظى بمتابعة تفوق ما حدث في الحلقة الماضية.. وذلك هو التحدي الحقيقي لمطيع كالعادة، وغير ذلك ليس إلا عناصر تخدم ذلك الهدف، فينظر إلى "الكاميرا" وكأنما يحدق في أعين المتابعين، ويأخذهم إلى عالمه الخاص بأسلوبه العبقري.

- اختفاء الشاب خالد سعيد من المصحة النفسية، وأيضا اختفاء الصحفية إيمان التهامي! وبلاغ من الدكتور منصف الشريف للنائب العام ضد لواء أمن الدولة! ومقال صارخ ضد الحكومة، تجميد مؤسسة صحفية كبيرة! عزام مرزوق، أو "أبو دياب" أخيرا خلف القضبان، وسقوط تنظيم إرهابي خطير في أبو طويلة، شبكة كبيرة وعميقة ومعقدة، وأخيرا "فريجولي" علامات استفهام لا تنتهي، حقائق تتكشّف وأخرى تختفي، وقرارات سيادية. فقط.. تابعونا .

يبتسم إلى الكاميرات بثقة ويرتب أوراق أمامه .

- لا تذهبوا بعيداً.

تعود موسيقى البداية من جديد، ثم فاصل إعلاني.

تم الجزء الأول

في تمام الثانية والنصف صباحاً.. 24 مارس 2018

* * *